

وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
مركز السيرة والسنة

سلسلة أضواء
على السنة النبوية
(٢)

منهج الدفاع عن الحديث النبوي

تأليف
د/ أحمد عمر هاشم

مراجعة
الدكتور محمد الطيب النجار

القاهرة
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّا لَعَلَّيْكُمْ خُلُقٌ عَظِيمٌ
« قَمَانِ كَرِيم »

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

« حَدِيثُ شَرِيف »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

منهج الدفاع عن الحديث النبوى منهج قديم تمتد جذوره الى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه الاخيار الذين جلسوا اليه وتلقوا عنه واقتدوا به فى سلوكه وافعاله . ذلك بانهم كانوا احرص الناس على ترسم آثاره والاهتداء بنوره . وهذا الحرص الشديد على الاقتداء بالرسول فى جميع احواله واتباع الطريق الذى رسمه والتمسك بالمبادئ التى نادى بها والآداب التى دعا اليها . ذلكم هو فى حقيقته المنهج الراشد والطريق القاصد للحفاظ على السنة النبوية والدفاع المجيد عنها .

● والسنة النبوية هى الأصل الثانى من اصول التشريع الاسلامى وجميع ما فيها من احكام ومبادئ وآداب متخذ من الوحي الذى اوحاه الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد بين الله ذلك بقوله عن رسوله : « وما ينطق عن الهوى . ان هو وحي يوحى » وبين الرسول ذلك فيما يرويه الترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا انى اوتيت القرآن ومثله معه » .

● والسنة قد تكون بيانا وتوضيحا لما ورد في بعض الآيات القرآنية التي جاءت مجملّة والتي يمكن أن تذهب النفس فيها كل مذهب . فبينما يقرأ القارئ قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى » وقوله : « وأقيموا الصلاة » يتساءل عن عدد الصلوات وعن كيفية اقامتها وعن أوقاتها وعن عدد الركعات فيها فيجد من السنة النبوية ما يرشده الى انها خمس صلوات في اليوم والليلة والى أن الصبح ركعتان والظهر أربع ركعات والعصر أربع ركعات والمغرب ثلاث والعشاء أربع . ويجد من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في قيامه وركوعه وسجوده ما ينير أمامه المسبيل ويضع يده على الغرض المقصود .

ومثل ذلك يقال عن الزكاة والصيام والحج وفي الأنواع المختلفة من العبادات والمعاملات حيث فصلت السنة أحكامها وزادتها بيانا ووضوحا .

● وهكذا تكون منزلة السنة النبوية في الدين ، فهي توضح نصوص القرآن وتبين مراميّه ، وتكشف ما خفى أو أشكل من معانيه ، ثم هي مع ذلك الأساس الأول في التفصيلات الجزئية التي لم يتعرض لها الكتاب الكريم ، وقد أوحى الله بها الى رسوله ليرشده الى المنهج السوى والطريق الذى لا عوج فيه حتى يؤدي رسالته كاملة في اسعاد البشر واخراجهم من الظلمات الى النور .

● وكان من عناية الله بالامة الاسلامية وبالسنة النبوية أن مد الله في أعمار عدد من اجلاء الصحابة فكانوا المرجع الذى يلجأ اليه من أراد التثبت والاستزادة ، ولهذا كثرت الرحلات في سبيل

المعلم فكان يرحل الصحابة والتابعون من بلد الى بلد ومن مصر الى مصر ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات ، فلقد روى عن عطاء بن أبى رباح أن أبا أيوب الأنصارى رحل الى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيره ، فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد ، وهو أمير مصر — خرج اليه عقبة بن عامر فعانقه ثم قال له : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستر المؤمن ، قال : نعم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ستر مؤمنا في الدنيا على كبريته ستره الله يوم القيامة » . ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها راجعا من مصر الى المدينة .

● ويقول سعيد بن المسيب رضى الله عنه « انى كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » .

● وهكذا كانوا يستوثقون من الأحاديث النبوية بالرجوع الى منابع الاصلية والتنقيب عن مصادرها المختلفة مهما بذلوا من التضحيات وكابدوا من المتاعب . . وكانوا ينقدون الرواة ويدرسون حياتهم وتاريخهم فاذا عرفوا عن شخص عيبا خلقيا او خلقيا يحول بينه وبين الاحسان فى الرواية جرحوه واعتبروه فى القائمة المهملة التى لا يوثق بروايتها ولا يؤخذ عنهم وكان يدفعهم الى ذلك اخلاصهم لله وارسوله .

● وقد وضعوا قواعد دقيقة يميزون بها الحديث الصحيح من غيره . واشتراطوا فى الحديث الصحيح ان يصح سنده وان

يتوفر في رواته جميعا الضبط والعدالة . كما وضعوا اسسا يميزون بها الأحاديث الموضوعة وهذه العلامات التي يتميز بها الحديث الموضوع توجد أحيانا في سند الحديث وأحيانا في متنه . . فمن علامات الوضع في السند ان يكون الراوى كذابا معروفا بالكذب وليس هناك راد غيره من الثقة . أو ان يعترف الواضع بالوضع أو ان يروى الراوى عن شيخ لم تثبت لعظه به أو ولد بعد وفاته . أو أن يروى الراوى عن شيخ لم تثبت لقياه به أو ولد بعد وفاته . • ومن علامات الوضع في المتن رككة اللفظ أو عدم استقامة

المعنى . أو مخالفته لصريح القرآن .

• الى غير ذلك من تلك القواعد الدقيقة التي كانوا يميزون بها الأحاديث ليعرفوا الصحيح من غيره وليخرجوا ما دخل الى السنة من روايات زائفة أملاها الهوى والفرض والحقْد على الاسلام والمسلمين .

وقد نشأت بسبب ذلك مدارس للحديث في الأمصار الاسلامية المختلفة أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون ثم اتباع التابعين وهكذا ، فكان الأستاذ من الصحابة يجلس في المسجد وحوله حلقة من تلاميذه يسمعون منه ويروون عنه . . فكان في المدينة من الصحابة أبو هريرة و عبد الله بن عمر ، وكان في مكة عبد الله ابن عباس وكان في الكوفة عبد الله بن مسعود وكان في البصرة أنس بن مالك . وكان في الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت . وكان في مصر عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكثير غيرهم ، وهكذا انتشر الصحابة في الأمصار الاسلامية نجوما هادية يتجمع الناس

اليها ثم يسبرون في ضوئها + وكان هؤلاء الصحابة ينتقلون في
الأمصار الإسلامية ويرحل بعضهم لبعض إذا شكوا في حديث
أو أرادوا الاطمئنان الى رواية .

وبهذه الدقة البالغة والعناية الكاملة وعلى هذا المنهج القويم
كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ينتقل بين الرواة الثقات
والحفاظ الحاذقين حتى سجله العلماء السالفون في كتبهم الخالدة
بعد أن غربلوه ونخلوه ونقذوه نفذ الصير في الحاذق ووقفوا على
عالله وامراضه وقفة الطبيب البارع ثم خرجوا على المجتمع الاسلامي
بما ثبت لديهم من الأحاديث الصحاح وهي تلك الكنوز القيمة التي
يتوارثها المسلمون جيلا بعد جيل والتي استقر بها أمر السنة
النبوية ورسخت جذورها واينعت ثمارها تتحدى كيد الأعداء وتهزا
بالأعاصير والأنواء .

ذلكم قبس يسير مما سيراه القارئ حينما يطالع هذا السفر
القيم الذي بعثه العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم
وسماه ((منهج الدفاع عن الحديث النبوي)) وأنه لمن الحق أن نقول
انه منهج رائد وطريق قاصد وثمره طيبة مباركة . ولقد ثناء
الله أن يخرج هذا الكتاب في الوقت الذي كثر الهجوم فيه على السنة
النبوية من أعداء الحق وخصوم الاسلام الذين يريدون أن يطفئوا
نور الله ويشككوا في دينه الحنيف ، وهاهو ذا الباحث الفاضل
يواجه المستشرقين الذي خدعوا بالسراب وتعلقوا بالأوهام فيفند
مزاعمهم واباطيلهم بالحجج القوية التي لا ريب فيها ويعقد لذلك
فصلا خاصا تحت عنوان ((السنة في مواجهة المستشرقين)) وقد

تعقبهم الباحث فيما يافكون ويزعمون وكشف النقاب عن مغترياتهم
وابطلها جميعا بالمنطق السليم والبرهان القويم .

● ويمضى الباحث بعد ذلك مدافعا عن حجية السنة وموضحا
الأسس القوية التي اشترطها العلماء في رواية الحديث حتى تقوم
حجتهم وتقبل روايتهم ، وفي خلال ذلك يتعرض الباحث للوضع
في الحديث ومقاومة العلماء له وكيف وقف الجمهور الأعظم من
المسلمين موقفا حازما كريما املاه عاينهم حبهم للرسول صلى الله
عليه وسلم وغيرتهم على الدين من الأحاديث الا ما قامت الأدلة
والشواهد على صحته وقوته ولم يعتدوا من الرواة الا من عرفوا
بالصدق والأمانة والضبط والعدالة .

وأخيرا يقف الباحث شاهرا سيف الحق امام تلكم الجماعات
الضالة التي اطلت برعوسها في هذا العصر واثارت شبهات زائفة
ومطاعن كاذبة حول السنة النبوية كانكارهم الأحاديث القدسية
وانكارهم للشفاعة وانكارهم للإيمان بالغيب الى غير ذلك . ثم يرد
على تلك الشبهات والمطاعن بما يثبت القلوب القلقة ويهدى النفوس
الحائرة ويزيد المؤمنين ايمانا ويقينا .

وبعد فهذا كتاب عظيم الفائدة عميم العائدة وقد قام بكتابته
عالم جليل له في خدمة السنة اثر بارز وباع طويل . ونسال الله
ان يزيده توفيقا وسدادا ، ويبارك جهوده في خدمة العلم والدين .
هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق .

أ.د. / محمد الطيب النجار
المشرف العام على مركز السيرة والسنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فان للسنة النبوية مكانتها في الاسلام ، فهي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ، وتتضح مكانتها وحجيتها ، ومنزلتها في الدين بما أوجبه رب العزة سبحانه من طاعة صاحبها عليه افضل الصلاة وأتم السلام ، فقد قرن الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعته سبحانه حيث قال :

○ ————— ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢)

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) سورة آل عمران (٣٢) .

الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١﴾

ففى الآية الاولى جاء الامر بطاعة الله مقرونا بالامر بطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم بالعطف بالواو ، حيث يفيد ذلك
مطلق الاشتراك والجمع بينهما .

وفى الآية الثانية : عطف بالواو مع اعادة العامل وهو الفعل :
(. . واطيعوا . .) حيث يفيد ذلك تأكيد عموم الطاعة فى كل
ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما امر الله تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على
الانفراد فى قوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّوْا سَلِيمًا ﴾ (٢)
وقال سبحانه :

﴿ وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٣)

-
- (١) سورة النساء (٥٩) .
(٢) سورة النساء (٦٥) .
(٣) سورة الحشر (٧) .

وكما أوجب الله تعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ،
أنه سبحانه بين أن رسوله صلى الله عليه وسلم هو المبين
لقرآن الكريم :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١)

والرسول صلى الله عليه وسلم حين يبين للناس ما نزل
إليهم لا يصدر في بيانه من تلقاء نفسه ، وإنما يتبع ما يوحى إليه ،
« ان اتبع الا ما يوحى الى (٢) » ، ولهذا جعل الله تعالى طاعة
رسوله طاعة له ، وأوجب على المسلمين اتباع بيانه فيما يأمر
وينهى .

قال تعالى :

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣)

وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله
تعالى ، كما جاء في الحديث الصحيح : روى المقدم بن معدي
كرب قال :

« حرم النبي صلى الله عليه وسلم أشياء يوم خيبر منها
الحمار الأهلى وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يوشك ان يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي

(١) سورة النحل (٤٤) .
(٢) سورة الأنعام (٥٠) .
(٣) سورة النساء (٨٠) .

فيقول : بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمانه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله (١) .

لذا كان للسنة النبوية أهميتها ، وكان للقائمين على روايتها وتدوينها والدفاع عنها منزلتهم عند الله .

ولقد دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالنصرة لمن بلغ عنه شيئا ، عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع)** (٢) .

وفي فضل الذين يروون الأحاديث ويعلمونها الناس روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(اللهم أرحم خلفائي ، قلنا : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثي ويعلمونها الناس)** (٣) .

ويسعدنى ويشرفنى أن أكون أحد المجتهدين والخادمين لسنة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، وأى شرف أعلى وأعلى من هذا الشرف ، فللسنة النبوية مكانتها في الاسلام التى لا تخفى على أحد من المسلمين ، ولها أهميتها في الدين ، بحيث لا يمكن الوقوف

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان .

(٣) رواه الطبرانى في الاوسط .

على تفاصيل العقيدة والتشريع والسلوك الا عن طريقها بعد
القرآن الكريم ، ومن أجل هذا : تعرضت لسهام أعداء الاسلام من
المبشرين والمستشرقين ، وهذا الكتاب :

مواجهة لخصوم السنة ، الذين يحاولون النيل منها ، والكيد
لها والمكر برجالها : « **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » .

وقد حاولت ان اقدم في هذا الكتاب صورة لجهود العلماء في
حفظ السنة ، ومواجهة للمستشرقين الذين أثاروا حولها بعض
الشبه ، كما دافعت عن حجيتها ، وأبرزت مقاومة الأئمة والعلماء
لحركة الوضع والوضاعين ، ثم تكلمت عن السبب في عدم الاحتجاج
بها في النحو والصرف ، وأنه ليس لقصور في روايتها وانما لقصور
لدى النحاة واللغويين ، كما قمت بالرد على الشبهات الحديثة
والله أسأل ان يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يجزيينا عنه
خير الجزاء : في الدنيا والآخرة ، وأن يوفق كل الباحثين والمخلصين
وأهل الغيرة على الكتاب والسنة ، وأن يغفر لنا ولوالدينا ، انه
سبحانه سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

أ.د. أحمد عمر هاشم
نائب رئيس جامعة الأزهر

فصول الكتاب

- الفصل الأول: جهود العلماء في حفظ السُّنة .
- الفصل الثاني: السُّنة في مواجهة المستشرقين .
- الفصل الثالث: دفاع عن حُجية السُّنة .
- الفصل الرابع: الوضع في السنة ومقاومة العلماء له .
- .. الإحتجاج بالحديث في اللغة والنحو .
- الفصل الخامس: ردّ المطاعن التي أُثيرت حديثاً .

الفصل الأول
جُهود العلماء في حفظ السُّنة
« العناية بحفظ السُّنة ونشرها »

● جهود العلماء في حفظ السنة « العناية بحفظ السنة ونشرها »

لقد أدرك سلفنا قيمة السنة وأهميتها ، فأولوها عناية فائقة ، بحفظها ، ونشرها ، وتبليغها .

وفي أعناقنا — نحن — اليوم أمانة ضخمة تملئها علينا عقيدتنا وواجبنا تجاه خدمة السنة الشريفة حفظا لها وتبليغا وعملا بها وتطبيقا .

وإذا نظرنا الى جهاد رسولنا صلوات الله وسلامه عليه في سبيل الله ، ومن أجل هذا الدين وتبليغه ، وتوضيحه ونشره ... ونظرنا الى جهود الصحابة والتابعين ، وأتباع التابعين والأئمة المجاهدين المخلصين .. ورجال السنة الذين جاهدوا وكابدوا ، وعانوا في سبيل تدوينها وحفظها ، وشرحها وخدمتها حتى وصلت إلينا جيلا بعد جيل ، تتألق بالهدى الإلهي ، وتشع بنور النبوة ، وتنقل إلينا كل قول وفعل للرسول عليه الصلاة والسلام .

إذا نظرنا الى كل هذا : أحسنا بعظم المسؤولية وضخامة التبعة ، وأحسنا بواجبنا الذي لا يعادل — لو قمنا به على أكمل وجه — معشار ما قاموا به .

ففى عهدنا : تنوعت وسائل الكتابة ، والطباعة والاعلام
وبين أيدينا أمهات الكتب والدواوين المستوعبة ، والجوامع
والمسانيد ، التى لم تكن متوفرة قبل ذلك .

ومن أجل هذا : فان واجبنا تجاه السنة الشريفة يلزمنا بأن
نقوم بدراساتها ، والذود عن حماها .. ورد كل ما يثار من أباطيل
الأعداء وشبههم ، ومن محاولاتهم اليائسة فى الوضع والدس
والاختلاق .

ولقد لعبت ايدى أعداء السنة أدوارا كبيرة ، حدث بجهاذه
الحديث الى تنقيته من كل دخيل ، ورد كل افتراء ، وكان علينا اليوم
أن نتعرف على همم سلفنا ، والعوامل التى دفعتهم لحفظ السنة
الشريفة ونشرها ، حتى نترسم خطاهم .. ونتعرف على أول
الطريق ، لتكون مسيرة الخلف موصولة بالسلف .

وان أول الطريق : يبدأ مع بداية هذه الرسالة الخاتمة ..
فقد قام الرسول الكريم بأداء الرسالة خير قيام ، وأدى الأمانة
الالهية على أكمل وجه ، وتحمل فى سبيلها ما تحمل .

ولقد صبر صلوات الله وسلامه عليه ، واستعذب الأذى
حتى أرسى دعائم الدعوة ، وأقام دين الله تعالى .

✽ وهناك عوامل كثيرة تضافرت فى دفع المسلمين وحفزهم
لخدمة الحديث ، وهذه العوامل جعلتهم يقبلون اقبالا شديدا على
السنة الشريفة ودراساتها .

وعلى رأس هذه العوامل : « القدوة الحسنة » .

وقد تمثلت هذه القدوة : في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، استجابة لقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۖ ﴾

لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴿ (١)

وهذه القدوة : لا تتأتى الا بمعرفة اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله وتقريراته ، وصفاته ، ويتبع المعرفة .

العلم بالسنة ، وحفظها وفهمها .

ويتبع العلم : العمل بما يعلمون .

ولقد وجد المسلمون في القرآن والسنة حثا على العلم والعمل ، والسعى والبحث ، والسفر والرحلة من أجل تحصيل العلم وتبليغه ، ونشر السنة وحفظها ، وتبليغها للناس .

قال الله تعالى :

○ ————— ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ ۖ ﴾

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿ (٢)

(١) سورة الاحزاب (٢١) ؛

(٢) سورة التوبة (١٢٢) ،

✽ وكان المسلمون، حينئذ يتمتعون باستعداد فطرى قوى وذوق عربى أصيل ، وذاكرة واعية أمينة ، حركت همهم الى تلقف السنة بشوق ونهم ، وحب واخلاص .

وكان لهذه العوامل وغيرها أثرها . . فالتفتوا حول رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، ونهلوا من معين سنته المطهرة ، التى وجدوا فيها مادة خصبة : لدينهم وديناهم وأخراهم ، تكفل لهم سعادة الدارين ، لأن أحكامها الكريمة ، وآدابها الفاضلة تتصل بالعقيدة والشريعة والأخلاق .

بل انها تتصل بجميع آدابهم وأحوالهم ومعاملاتهم ، ليكونوا على نور وهدى .

والمتتبع لمجالس السنة المطهرة فى رحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يجدها : كانت تشع بالنور والهدى .

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ المسلمين سنته الشريفة ، وحبب الى أصحابه — رضوان الله عليهم — حفظ الحديث وتبليغه .

ووضع منهج التلقى والتحديث ، وأرسى بينهم قاعدة التثبيت العلمى التى ساروا عليها ، واتخذوها منهجا فى الرواية بعد ذلك .

وسار الصحابة فى حرصهم على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب ما يقومون به من أمور المعاش .

وإذا تعذر على بعضهم الحضور ، يتناوب مع غيره ، كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال :

« كنت أنا وجار لى من الأنصار في بنى أمية بن زيد ، وهى من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » .

ولم يكن يتسنى للجميع سماع الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما كانوا يقومون به من أعمال ، فكانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من أقرانهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه .

كما كانت القبائل البعيدة تبعث الى النبی صلى الله عليه وسلم من يتعلم أحكام الدين منه ، ثم يعود اليهم ، ليرشدهم ويعلمهم .

وهكذا : عاش الصحابة — رضوان الله عليهم — مع رسولهم صلوات الله وسلامه عليه يشاهدون تصرفاته : فى عباداته ومعاملاته ، وإذا عن لهم أمر من الأمور ، يحتاجون الى بيانه ، رجعوا اليه يسألونه ، فيجيبهم ويفتيهم .

كما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يعلم النساء أمور الدين ويخصص وقتا يجلس لهن فيه ، وكانت أمهات المؤمنين على درجة عالية من العلم ، لذا وجد النساء عندهن الاجابة على

أمرهن وأحوالهن ، التى يمنعهن الحياء من التصريح بها أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالأمر الخاصة بهن .

والى جانب هذه العوامل السابقة : كانت هناك طرق كثيرة ساعدت على انتشار السنة ، قوى نشاطها : اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى التبليغ، وأثر أمهات المؤمنين الذى لا ينكر .
* ومن هذه العوامل أيضا : بعوثة صلوات الله وسلامه عليه الى القبائل ، لتعليمهم وارشادهم . . وكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام .

كما كان لغزوة الفتح أثر كبير فى نشر كثير من السنن حيث قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا بين ألوف المسلمين وغيرهم .
معلنا العفو العام عن أعدائه ، مبينا كثيرا من الأحكام التى تناقلها الناس ، وحملوا توجيهه وارشاده الى اهليهم .

وبعد أن استتب الأمر يعم النبى صلى الله عليه وسلم وجهه شطر المسجد الحرام ، حاجا ، ومعه ألوف من المسلمين وألقى فيهم خطبته الجامعة ، التى تعتبر — بحق — أعظم منهج ختامى للدعوة الاسلامية .

فقد تضمنت كثيرا من الأحكام والسنن ، وبين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ، ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الاسلام ، فكانت هذه الخطبة العظيمة ، من أعظم عوامل انتشار السنة بين كثير من القبائل والعشائر .

ومن المعلوم : أن الصحابة — رضوان الله عليهم — لم يكونوا في مستوى واحد من العلم ، بل كانت تتفاوت درجاتهم العلمية ما بين أكثر ومقل ، ومتوسط ، تبعا لظروف كل واحد منهم .

وكان من بينهم البدوي والحضري ، والمنقطع للعبادة والمشتغل بأمر المعاش ، وكان أكثرهم علما أسبقهم اسلاما ، كالخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود . . أو أكثرهم ملازمة للرسول صلوات الله وسلامه عليه : كأبي هريرة ، أو أكثرهم كتابة : كعبد الله بن عمرو بن العاص .

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يدعون ربهم سبحانه أن يرزقهم علما لا ينسى . . فكانوا لا يقتصرون على همتهم وقوتهم ، وذاكرتهم ، ولكنهم كانوا يجمعون الى جانب العلم العمل ويكثر من الدعاء ، حرصا منهم على حفظ السنة الشريفة ، والوقوف على دقائق الدين، وعلومه وأحكامه .

✽ وأكثر الصحابة حديثا وحفظا : « أبو هريرة » رضى الله عنه . . وفى « المستدرک » عن زيد بن ثابت قال : « كنت أنا وأبو هريرة وآخر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أدعوا ، فدعوت أنا وصاحبى ، وأمن النبى صلى الله عليه وسلم . ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم انى أسألك مثل ما سألك صاحبى ، وأسألك علما لا ينسى ، فأمن النبى صلى الله عليه وسلم .

فقلنا : ونحن يا رسول الله كذلك .

فقال : سبقكما الغلام الدوسي » .

ويتضح من كل ذلك : أن السمات العامة للمسلمين آتتد تبرز لنا الدوافع القوية التي حفزتهم لتلقى السنة الشريفة ، حتى أودعوها حوافظهم القوية ، وصدورهم الأمانة ، مما جعل السنة محفوظة جنبا الى جنب مع القرآن الكريم .

✽ وواجبنا اليوم : أن نحرص على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وننفى عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين وأن نصونها من سهام أعداء هذا الدين ، الذين يتربصون به الدوائر ، أولئك الأعداء ، الذين أدركوا أن سر عظمة هذه الأمة — سلفا وخلفا — قد تمثل في الكتاب والسنة ، فهاجموا هذين الأصلين ، وحاول أعداء الاسلام اقتحام القرآن الكريم وتحريفه ، ولكنهم باعوا بالفشل الذريع فقد تكفل الله بحفظه ،

(١) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

كما حاولوا الدس في كتب التفسير والحديث . وقامت جمعياتهم السرية ، وغزوهم الفكرى ، مستخدمين أبواق الاستشراق الملحد ، محاولين رفع معاول الهدم ، ومشهرين الأقلام المسمومة ، للطعن في علوم الدين ، وعلى رأسها ، السنة الشريفة ، ولكنهم باعوا كذلك بالفشل الذريع ، فقد نهض الأئمة الاعلام ،

(١) سورة الحجر (٩) .

ودونوا هذا العلم الشريف ، وقعدوا له القواعد الأصلية التي
تكشف الدخيل والمدسوس ، وصانوا السنة من التحريف والتزييف .
وما زال الجهاد في سبيل أعظم تراث في هذه الدنيا موصولا
بهمم العلماء والباحثين ، والكتاب والمفكرين من أبناء الاسلام
وعلمائه ، ورجال السنة في كل جيل وفي كل عصر ، وفي كل مكان .
وبحمد الله : قامت النهضة العلمية في البلاد الاسلامية في
المعاهد والمدارس والجامعات مما يبشر بنجاح ونصر قريب ،
ونهضة كبرى في الصناعة الحديثة ، ودراسة أصول الحديث
النبوي ، وتحقيق مخطوطاته . نسأل الله تعالى : أن يكلل هذه
الجهود بالتوفيق والنجاح وأن تتجاوب مع أصداء هذه النهضة
جميع البلاد الاسلامية حفظا للسنة ، وحراسة للتراث ، وتبليغا
للدعوة .

ولنلق الآن بعض الضوء على خطوات النقد ومراحله لدى
المحدثين لنتعرف على عنايتهم الفائقة في تتبع قواعد الضبط
والتحرى ، حفاظا على السنة الشريفة .

النقد عن المحدثين

لقد تمخضت بحوث المحدثين وجهودهم في تدوين السنة
النبوية الشريفة الى علوم دقيقة ، كانت بحق قمة ما وصل اليه
الفكر البشرى في نقد الرجال ، ووزنهم الصحيح ، وهي : أصح
ما عرف في التاريخ كله من القواعد العلمية السليمة للرواية .

وهى : قواعد ليس بعدها مجال للتثبت والتأكد والحيلة .
وهذه العلوم هى : ما تسمى بعلم أصول الحديث ، أو :
علم الحديث دراية ، ذلك : أن علم الحديث ينقسم الى قسمين :
* علم الحديث رواية : وهو : علم يعرف به ما أضيف الى
الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة .
* وعلم الحديث دراية : وهو : علم بقوانين يعرف بها أحوال
السند والمتن ، أو كما عرفه الحافظ ابن حجر : « معرفة القواعد
المعرفة بحال الراوى والمروى » .

وعلم أصول الحديث : نشأ مع نشأة الحديث ، اذ كانوا
يطلبون من الراوى التثبت ، وينقدون المرويات .

وقد ازداد الحرص على هذا ، منذ وقوع الفتن ، فكانوا
يقولون : « سمو لنا رجالكم » . كما زاد الطلب أيضا عندما قام
ابن شهاب الزهري بجمع الحديث من حامله في الدفاتر والصحف .
ثم بعد ذلك : كتب الإمام الشافعى بعض المسائل فى كتابيه :
« الرسالة » و « الأم » .

وكان أول من ألف فى بعض بحوث هذا العلم ، هو : الإمام
على بن المدينى . كما تكلم فى مسائله : البخارى ومسلم والترمذى ،
وقام الترمذى ، فأشاع مسائل هذا العلم ، وجمع بعضها فى خاتمة
جامعه . فتدوين علوم الحديث اذا : ابتدأ فى أبواب ، وفى بعض
أنواع منه ، الا أن المؤلفات فى بادئ الأمر كانت غير جامعة لكل

أنواعه في كتب خاصة ، ولا مستقلة قائمة بذاتها ، وإنما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تأليفهم ، وجمعهم للروايات . فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الامام مسلم ومنهم من جعلها خاتمة تبين مراده من المصطلحات ، كما صنع : الترمذى في آخر جامعه ، وعننى الامام البخارى فالف كتبه في التواريخ الثلاثة الكبير ، والأوسط ، والصغير .

كما ألف أيضا في تاريخ الرواة : الامام محمد بن سعد كتاب : « الطبقات الكبرى » . وألف البعض فى الثقات : كأبى حاتم بن حبان . وخصص البعض مؤلفسات فى الضعفاء والعلل ككتاب : « الضعفاء » للبخارى ، وكتاب : « الضعفاء » للنسائى .

ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث ، وقواعد كثيرة لهم ، يعرف بها المقبول والمردود ، ففكروا فى تخليصها من هذه الكتب ، وجمعها فى علم خاص ، وتدوينها فى كتب مستقلة ، وكان ذلك فى القرن الرابع الهجرى ، حيث نضجت العلوم واستقر الاصطلاح .

فألف القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية كتابه : « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » فجمع كثيرا من أنواع هذا العلم ، وكان أول من وضع كتابا مستقلا فى علوم الحديث ، ولكنه لم يستوعب جميع بحوثه .

ثم صنف الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى

المتوفى سنة ٤٠٥ هـ كتابه : (معرفة علوم الحديث) ولكنه لم يهذب ولم يرتب .

ثم الف الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ كتابه في أصول الحديث ، سماه « الجامع لأدب الشيخ والسامع » . . . ثم كثر التأليف بعد ذلك .

وتفرعت الدراسة في هذا المجال الواسع من المعرفة الى علوم كثيرة من أهمها : « علم الجرح والتعديل » .

وقد أدى حرص العلماء على معرفة أحوال الرواة لتمييز الصحيح من غيره الى نشأة « علم الجرح والتعديل » ، أو علم « ميزان الرجال » . وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم من تعديل يزينهم ، أو تجريح يثسينهم .

وتكلم في هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة المتأخرين من العلماء ، فمن الصحابة : ابن عباس وعبادة بن الصامت .

ومن التابعين : سعيد بن المسيب والشعبي .

وأما ابتداء التصنيف ووضع الكتب في الجرح والتعديل فقد كان بعد ذلك . وكان من أوائل الذين ألفوا في هذا العلم : « الامام يحيى بن معين » و « الامام أحمد بن حنبل » و « الامام محمد بن سعد » و « الامام البخاري » و « الامام مسلم » و « الامام أبو داود » و « الامام النسائي » .

ثم كثر التأليف بعد ذلك .

وممن كتب في الثقات والضعفاء : أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدي الجوزجاني المتوفى سنة تسع وخمسين ومائتين .

« والتعديل » هو وصف الراوى بما يقتضى قبول ما يرويه والعمل به ، ويدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « نعم الرجل عبد الله — يعنى ابنه عمر — لو كان يصلى من الليل » .
والجرح : هو وصف الراوى بما يقتضى عدم قبول روايته .

ولما كان الجرح ضروريا في الدين ، وترتبط معرفة الرجال به ، لكشف أحوال الكذابين ، والوضاعين والفسقة كان جائزا في الاسلام ، لما يترتب عليه من صيانة الشريعة الاسلامية من الدس والوضع ، وتمييز العادل من الفاسق ، والصادق من الكاذب ، والضابط من غيره .

ويدل على جواز الجرح بل وعلى وجوبه : قول الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن

تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾ ﴾ (١)

ومن السنة : ما روى عن عائشة رضى الله عنها : (أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (ائذنوا له بشئ أخو العشيرة) متفق عليه .

(١) الحجرات آية ٦

وما رواه البخارى ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما اظن فلانا وغلانا يعرفان من ديننا شيئا) قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث :

هذان الرجلان كانا من المنافقين .

ومما ذكره الامام النووى فى كتابه : « رياض الصالحين » من أسباب إباحة الغيبة ، لغرض صحيح شرعى ، لا يمكن الوصول اليه الا بها :

تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم ، وذلك من وجوه منها : جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جوائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة .

ومنها : المشاورة فى مصاهرة انسان أو مشاركته أو ايداعه أو معاملته أو مجاورته أو غير ذلك . وعلى المشاور ، الا يخفى حاله ، بل يذكر المساوىء التى فيه بنية النصيحة .

وصاغ المحدثون شروطا وقواعد للنقد ، وجعلوا كلا من الجرح والتعديل مراتب .

كما اشترطوا لمن يتصدى لنقد الرجال ، وللجرح والتعديل ان يكون عدلا ضابطا ، عالما بأسباب الجرح والتعديل ، حتى لا يترتب على حكمه خطأ أو تقصير ، فيعدل من ليس أهلا للعدالة ، أو يجرح من ليس مجرحا .

وأن يكون عالماً تقياً ورعاً ، مجرداً من التعصب والاهواء حتى لا يميل الى جانب أحد من الناس ، فيحكم له ، أو يتحامل على آخر فيحكم عليه ويجرحه ، فهو بمنزلة القاضى العادل الذى يتحرى الحقيقة ، والصواب ، ليحكم بما يرضى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام . كما اشترطوا فيمن يتصدى للتجريح والتعديل : أن يكون ذا اطلاع واسع ، وبحث عميق طويل ، وخبرة قوية ، وعالم بطبائع النفوس البشرية ، وغير ذلك من الأمور التى تساعد على الوصول الى وجه الحق ، فلا يدلى برأيه فى النقد دون بينة ودليل ، أو بحث وتنقيب . بل عليه أن يتورع فيما يقول ، وأن يتقى الله فيما يتصدى له من حكم ، حذراً من انتهاك الأعراض ، وتجريح الناس والقدر غيهم .

ويقول الحافظ ابن حجر : حق على المحدث أن يتورع فيما يرويه ، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ، ليعينوه على ايضاح مروياته . . ولا سبيل الى أن يصير العارف الذى يزكى نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذا الا بادرمان الطلب والفحص عن هذا الشأن .



الفصل الثاني
السنة في مواجعة المشرقين

● السنة في مواجهة المستشرقين

للسنة النبوية الشريفة منزلتها في الدين ، ومكانتها الأثيرة في نفوس المسلمين ، فهي : المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، بعد القرآن الكريم . وهى المبينة والمفصلة لكتاب الله ، قال سبحانه :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

وقد اقترن الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الله تعالى ، فى قوله سبحانه :

○ ————— ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢)

ومن مقتضيات الإيمان — اذا حدث تنازع فى أمر — أن يرد الناس الأمر الى الله ورسوله ، والى الكتاب والسنة قال الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

- (١) سورة النمل آية (٤٤) .
(٢) سورة آل عمران آية (٣٢) .

الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١﴾

كما نص القرآن الكريم — صراحة — على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتسليم لحكمه واتباعه ، وهذه الطاعة في حال حياته ، بما كان يبين للناس ما نزل اليهم ، وبما كان يوضح لهم من معالم الحق والخير ، والحلال والحرام . ويفصل الأحكام ، ويهدي الناس الى الصراط المستقيم ، وبعد وفاته كذلك ، باتباع سنته وأحياها ، والسير على منوالها ، لأنه صلى الله عليه وسلم انتقل الى الرفيق الأعلى ، بعد أن اطمأن تماما على أنه أرسى معالم الدين ، وأدى الأمانة الإلهية ، على منهاج الحق . وجاء الأمر الإلهي صريحا يأخذ كل ما أتى به ، ودعا اليه ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٢)

وقد وصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يطيعوه وأن يتبعوا ما أتاهاهم به من الكتاب والسنة بعد وفاته ، ففي هذا عصمة لهم من الذلل ، ووقاية من الضلال قال صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي) (٣) .

-
- (١) سورة النساء آية (٥٩) .
(٢) سورة الحشر آية (٧) .
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک .

لهذا كله تلقى الصحابة رضوان الله عليهم السنة الشريفة، وبلغوها الى من بعدهم جيلا فجيلا ، حتى وصلت اليها نقية بيضاء . هذا : وان لدينا يقينا مطلقا بأن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظ القرآن الكريم ، وحفظه فعلا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)

وهذا اليقين يفيء علينا يقينا قريبا منه بأن الله سبحانه قد حفظ كذلك من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه كل حقيقى وصادق ، ليكون بيانا لكتابه الذى تكفل بحفظه ، قال تعالى :

○ ————— ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ

وَقُرْآنُهُ ﴾ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ

عَلَيْنَا بَيَّانَهُ ﴾ (١٩) (٢)

من أجل هذا نرى أن السنة الشريفة قد قبيض لها من أسباب التوثيق ما لم يحدث له نظير أبدا في تاريخ البشر ، مثل : علوم الحديث ، والجرح والتعديل ، وجهاد الأئمة والحفاظ في سبيل استخلاص الأحاديث الصحيحة .

وعلى هدى الكتاب والسنة : قامت — على أيدي سلفنا — نهضة علمية شاملة ، تجاوبت أصداؤها في مشارق العالم ومغاربه

(١) سورة الحجر آية (٩) .

(٢) سورة القيامة آية ١٧ — ١٩ .

وساعد على نماء النهضة ، وازدهارها ما قام به العلماء من توسع في الرحلات العلمية ، والاجتهاد فيها ، وتفتت عبقریات غذة في كثير من العلوم والمعارف ، كانت قائمة على أساس الدين .

وبرغم كل ذلك : فقد تعرضت السنة النبوية الشريفة ، لسهام أعداء الدين — بغيا منهم وعدوانا — فحاولوا قديما الدس والتحريف ، والكذب والوضع ، بدافع التعصب السياسي ، أو التعصب العنصري أو ما أحدثه الزنادقة والجهال من القصاص أو ما كان نتيجة الخلافات الكلامية ، أو الجهل بالدين مع الرغبة في الخير ، الى غير ذلك من الأسباب التي يرجع معظمها الى مكر أعداء الاسلام به ، ومحاولتهم أن يلقوا في محيط الحديث النبوي بالأكاذيب والترهات .

وقد قبيض الله سبحانه وتعالى لسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه رجالا أمناء ، صدقوا في اخلاصهم لله ولرسوله ، ونصبوا أنفسهم للذب عن السنة الشريفة ، فأفنوا أعمارهم في التمييز بين الصحيح والباطل ، صيانة للسنة النبوية وحفاظا على الاسلام من الدس والتحريف .

وفي سبيل تنقيح السنة وتنقيتها من الوضع : بذل علماء الأمة — من الصحابة والتابعين ومن بعدهم — جهودا مخلصنة فوضعوا قواعد الجرح والتعديل ، وكان من ثمرة أعمالهم : علم مصطلح الحديث ، وهو يشتمل على أدق المناهج العلمية ، وأوثق الطرق للتحقيق التاريخي ، وأقومها في التمهيص والنقد

والتزموا الاسناد ، فلم تظفر أمة من الأمم بما ظفرت به هذه الأمة من الاسناد الصحيح المتصل وعلوه ، ونقد الرواية والرواة .

لقد نقدوا الرواة ، ودرسوا حياتهم وتاريخهم وأحوالهم : من صدق أو كذب ، ووصلوا عن طريق هذه الدراسة الى تمييز الصحيح من المكذوب . . وكانوا في حكمهم على الرواة لا يخافون في الحق لومة لائم ، ولا تأخذهم عاطفة ، حتى ولو كان الراوى أخا لواحد منهم ، أو أباً له . . فهذا زيد بن أنيسة يقول :

« لا تأخذوا عن أخى (١) » . وهذا على بن المدينى : لا يروى عنه حرف في تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد ذلك (٢) ، ووضعوا القواعد لتقسيم الحديث ، ونقدوا السند ، ونقدوا المتن ، وبذلوا غاية الجهد في التثبت من الأحاديث مهما كلفهم ذلك ، يقول سعيد ابن المسيب : انى لأسير الليالى ، والأيام في طلب الحديث الواحد .

هكذا : كانت همم أئمة الحديث في تمييز الصحيح من غيره وفي الدفاع عن السنة وحمائيتها من أعدائها ، وأعداء الاسلام قديما .

وأما حديثنا : فقد تعرضت لما تعرضت له في القديم ، اذ شن أعداء الاسلام على السنة حملات مسمومة ومسعورة لا هوادة فيها ، وقد تولى كبر هذه الحملات الظالمة المستشرقون ومن تبعهم .

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١ ص ٩٩ .
(٢) شرف اصحاب الحديث للخطيب البغدادي . مخطوط .

ظاهرة الاستشراق

لقد بدأت أولى مراحل الاستشراق عندما تبوأَت الحضارة الإسلامية مكانتها المرموقة ، بما لها من خصائص ومقومات ، لا تضاهيها حضارة أخرى ، فأعجب الغربيون بها ، واغترفوا من مناهلها الصافية ، بيد أنهم أحسوا أن هذه الثقافة الإسلامية ، الأصيلة ، وذلك التقدم الحضارى المزدهر يهدد كيانهم ، فانبهرى بعض الرهبان يدرسون هذه الثقافة ، لحاجة فى أنفسهم ، وأخذوا يثيرون الشبه المفتراة ، ويؤلفون كتباً تطفح بالمثالب المزعومة ، ورغم ذلك : فقد ظلت الحضارة الإسلامية مشرقة بفكرها الإسلامى النقى وثقافتها الأصيلة ، فعجزت حيل أعدائها ، وكلت ، وضلت مساعى أولئك المبطلين .

ومن ثم ، حاولت الكنيسة ضرب هذه الثقافة ، واقتلاعها من الجذور ، فكانت الحملات الصليبية ، بدافع العصبية ، وتخليص مهد المسيح من أيدي المسلمين ، مستغلين اسم الدين فى سبيل أطماعهم التوسعية وتقويض الحضارة الإسلامية ، ولكن تلك الحملات باءت بالفشل ، وانهزمت جيوشها .. ومن هنا : بدأت المرحلة الراهنة للاستشراق التى قامت بدافع الأسباب السابقة ، وبدافع العدوان والكراهية للإسلام ، الذى ينكر عقيدة التثليث والصلب والفداء ، فراحوا يختلقون المآخذ ، ويتصيدون التهم الملفقة فى تصنع واحتراف ، فهم الخصوم المحترقون كما يسميهم المرحوم الأستاذ العقاد (١) .

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للمرحوم الأستاذ العقاد .

وأیضا : فمن تلك الأسباب : أن القرآن الكريم كُشف عوارهم ،
وفُضح مكرهم ، حين بين ما قام به أتباع التوراة والانجيل من
تحريف الكلم عن مواضعه ، ولعل هذا هو السبب الأول لحقد
المستشرقين على القرآن نفسه (١) .

وقد عنى المستشرقون بالتعرف على الاسلام ودراسة أصوله
— بعد أن ألفت الجمعيات اليهودية والمسيحية — وكان منهم من
تظاهر بالاشادة بالاسلام ، ليطمئن القارئ لأفكاره ، ثم يدس
جزئية فى ثنايا بحثه ، تحمل السم الخطير للاسلام ... وكان
المستشرقون من اليهود قد أقبلوا على الاسلام لأسباب دينية ،
وهى : محاولة اضعاف الاسلام ، والتشكيك فى قيمه ، وأخرى
سياسية ، هى : خدمة الصهيونية (٢) .

ومن هؤلاء المستشرقين : المستشرق اليهودى المجرى
« جولد تسيهر » ...

وقد افترى هذا المستشرق كثيرا على الاسلام ، فحاول
التشكيك فى الكتب الستة مرة ، وحاول التشكيك فى السنة
بأسرها مرة أخرى .

يقول جولد تسيهر : « ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم
— يعنى المسلمين — ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى لاتجد
لها مجالا كبيرا فى النظر فى تلك الأحاديث ، التى اعتبرها النقد

(١) الاسلام فى نظر المستشرقين للدكتور اللبان .

(٢) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الاسلام د : محمد البهى .

الاسلامى صحيحه غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا ، ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعا من الأحاديث . كانت مبعثرة ، رأوها أحاديث صحيحة « (١) .

الرد على هذه الفرية :

ان فى هذا الكلام تشكيكا فى قيمة الكتب الستة ، وقد بنى ذلك على ادعائه ضعف موازين النقد عند المسلمين ، وأن وجهة نظر نقادهم تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلّمون بصحة كثير من الأحاديث ، ثم رتب بعد ذلك نتيجته الخبيثة وهى : أنه كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة ... الخ .

أما بالنسبة لاختلاف وجهة نظر النقاد الأجانب : فهذا أمر طبعى .

أولا :

لأن النقاد المسلمين يؤمنون بالله ورسوله ، ويصدقون بكل ما جاء به الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه ، فسلّموا

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام : جولد تسيهر ترجمة د. محمد يوسف وزملائه .

— بعد التحقيق العلمى — بصحة كثير من أحاديث الغيبات والعقائد ، بخلاف الأجانب الذين لا يؤمنون برسالة الرسول .

ثانيا :

ان النقد الاسلامى ، قام على قواعد دقيقة ، وأصول ثابتة ، لها قيمتها ووزنها العلمى ، ولا تعرف الدنيا أدق من موازين النقد التى وضعها المسلمون لقبول الأحاديث أو ردها ، وقد شهد بذلك كثير من الأجانب ، وما دام الأمر كذلك : فماذا يضيرنا من اختلاف وجهة نظرهم «

أما ما أورده هذا المستشرق من أمر الكتب الستة ، وأن أحاديثها ، كانت مبعثرة فضمها مؤلفوها فى القرن الثالث ورأوا أنها أحاديث صحيحة : فتلك شبهة واهية ، لا أساس لها ، لأنها تؤدى الى انكار الجهود المخلصة التى بذلها علماء الاسلام فى القرنين : الأول ، والثانى من أجل حفظ السنة وحمايتها . فالسنة : ما كانت مبعثرة ، وإنما كان معظمها عمليا يطبقه المسلمون ، ويهتدون به ، ويحفظونه فى قلوبهم الواعية ، وكتبهم الصادقة الأمانة . . . وهكذا : انتشرت السنة من عهد الصحابة والتابعين ، وفى القرن الأول والقرون التالية ، وظلت محفوظة فى القلوب وفى الصحف ، حتى دونت فى الكتب المصنفة فى القرن الثانى الهجرى .

وبما أن الكتب الستة : قد سبقها فى القرن الثانى كتب مصنفة ، ومسانيد دونت قبل الكتب الستة ، فلما جاء أصحاب

الكتب الستة بمناهجهم الدقيقة وشروطهم العميقة ، وما التزموه
فى مصنفاتهم من نقد السند والمتن والرجال الذين يروون عنهم ،
ويأخذون منهم ... كل ذلك : يفىء علينا يقينا جازما بأن هؤلاء
الأئمة الثقات اختاروا هذه الأحاديث التى دونوها فى كتبهم من
آلاف الأحاديث التى كانت موجودة عند الأئمة والحفاظ متوخين
جمع الصحيح منها .

وفرية أخرى :

لهذا المستشرق المجرى « جولد تسيهر » يقول فيها :
« ان القسم الأكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الدينى
والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول ، والثانى ، وأنه
ليس صحيحا ما يقال : من أنه وثيقة الإسلام فى عهده الأول عهد
الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج » (١) .

الرد على ذلك :

هذه الدعوى الزائفة تنهار أمام أدلة النقل من الكتاب والسنة
وأمام المنطق العقلى السليم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يلحق بالرفيق الأعلى الا بعد كمال الدين ، وتمام نعمة الإسلام ،
ومن أواخر ما نزل عليه :

(١) دراسات اسلامية : جولد تسيهر .

○ ————— ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا
ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » (٢) .

وقد تضافرت المقاييس الثابتة ، والمناهج الدقيقة التي لم
تتوفر لأى ثقافة أخرى ، ولم تعرف الدنيا أدق من هذه الموازين
العلمية التي وضعت لقبول الرواية أو ردها .

وعلى هذا الأساس : تلقى الخلف عن السلف سنة ،
نبههم عليه الصلاة والسلام ، حتى وصلت إلينا صحيحة ثابتة .
وأما زعم هذا المستشرق أن أغلب الأحاديث من وضع
المسلمين نتيجة للتطور : فهو كذب وافتراء ، يدحضه ويرده ما ثبت
بالواقع والتاريخ من الأحاديث الصحيحة الواقرة ، التي نقلت عن
النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظها الصحابة ، وأخذها عنهم
ثقات الرواة : طبقة بعد طبقة ، وعصرا بعد عصر ، حتى وصلت
إلينا نقية سليمة ، وتلقاها الأئمة على مر العصور بجهد مشكور ،
فنفوا عنها كل كذب ، وبالغوا في التثبت والحيطه ، وسطروها
على صفحات قلوبهم الواعية ، وصدورهم الأمانة ، ودونوها فى

(١) المائدة آية (٣) .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرک .

صحفهم وكتبهم الصحيحة التي التزموا فيها بنقد السند والمتن ،
مستجيبين لنبيهم عليه الصلاة والسلام الذي أمرهم بالصدق ،
وحذرهم من الكذب ، ودعاهم الى المحافظة على حديثه الشريف ،
وحذرهم من التهاون فيه .

افتراء آخر :

وهناك افتراء آخر ، خلاصته : أن الاعتراف بصحة الحديث
أمر شكلي ، يقول جولد تسيهر : « قد شعر المسلمون في القرن
الثاني بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى الشكل
فقط ، وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث
الموضوعة ، وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث : «سيكثر
الحديث عنى فمن حدثكم بحديث فطبّقوه على كتاب الله فما وافقه
فهو منى قلته أو لم أقله » هذا هو المبدأ الذي حدث بعد قليل عند
انتشار الوضع » أه .

الرد على ذلك :

أنه لم ينقل عن أحد من المسلمين أن الاعتراف بصحة
الحديث أمر شكلي ، أو أن من بين الأحاديث الجيدة الاسناد
الكثير من الأحاديث الموضوعة ، وإنما كل ما نقل عنهم هو ما رآه
البعض بالنسبة لأحاديث الآحاد من أنها تفيد الظن ، وهذا مبالغة
في الحيلة والتثبت .

وأما ما ادعاه هذا المستشرق في تدعيم دعواه من حديث :
« سيكثر التحديث بعدى ... الخ » فقد نقد الأئمة هذا الحديث

وبينوا أنه موضوع ، فكيف ينهض دليلا على القاعدة الخطيرة التى وضعها هذا المغرور ؟ وقد قтам المحدثون بمناهجهم وشروطهم التى ميزوا بها بين الصحيح وغيره ، وبين الصالحين للرواية وغير الصالحين ، كما ردوا بعض الاحاديث التى لم تنطبق على رواتها شروطهم ، وردوا بعض احاديث الصالحين ، « ولم يكتفوا فى الرواة بالصالح وحسن السيرة ، حتى يجمعوا الى ذلك الحفظ والضبط واليقظة التامة » (١) أه .

وقال الامام مالك : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ولا من كذاب يكذب فى حديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به » (٢) فهم يشترطون فيمن يأخذون عنهم الا يكون الواحد منهم سفيها به حقم وعدم اتزان ، أو أن يكون عابدا ولكنه لا يزن الأمور بدقة ، ولا صاحب بدعة يدعو اليها ، هذا مع الضبط والفهم .



(١) الحديث والمحدثون : د. محمد ابو زهو .
(٢) مالك : حياته وعصره للشيخ : محمد أبو زهرة .

دعوى ان السنة منقولة عن الأمم الأخرى^(١)

ويطعن جولد تسيهر في السنة من زاوية أخرى ، فيزعم : أنها منقولة عن الأمم الأخرى ، وقال : « هناك جمل أخذت من العهد القديم ، والعهد الجديد ، وأقوال الربانيين ، أو مأخوذة من الاناجيل الموضوعة ، وتعاليم من الفلسفة اليونانية وأقوال من حكم الفرس والهنود .. كل ذلك أخذ مكانه في الاسلام عن طريق الحديث (١) » .

الرد على ذلك :

في هذه الشبهة يورد المستشرق : أن الاسلام أخذ من اليهودية والنصرانية والفلسفات الأخرى ، وكيف يتأتى هذا والمسافة الزمنية بعيدة جدا بين الاسلام وغيره من الأديان السابقة ؟ والرسول أمى لم يتل كتابا من قبل ، ولا خط بيمنه ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) ﴿ (٢)

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٥١ .
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٨ - ٤٩ .

نعم : توجد أشياء من أخبار الرسل السابقين في الكتاب وفي السنة ، وهناك تشابه بين الاسلام وغيره في بعض الامور ولكن ليس معنى هذا : أن الاسلام أخذ من السابقين ، أو قلد سواه ، وانما ذكرت أخبار الرسل لأنهم اخوة اتحدوا في الهدف وهو : التبليغ عن الله الواحد ، ويصدق بعضهم بعضا .

والقارىء للقرآن والسنة يرى : الفرق شاسعا بين ما جاء فيهما من التعاليم العامة الشاملة ، والتشريعات والأحكام والآداب ، وبين ما جاء في تعاليم التوراة والانجيل ، وحكم الفرس والهنود .

أما اتفاق الكتب السماوية في الأصل الأول وهو التوحيد أو في مكارم الأخلاق : لأن الدعوات السماوية جاءت كلها بالاسلام توحيدا خالصا ، وأخلاقا فاضلة ، فلا ضير أن يتفق الاسلام مع غيره في مثل ذلك ، فطابعه العام — بعد ذلك — أنه الدين العالمى بأصوله وتشريعاته — وبمصادره من الكتاب والسنة فهو غنى عن الأخذ من الأديان السابقة أو الفلسفات المختلفة .

وقد وجدت محاولات عديدة لتسلل الاسرائيليات وغيرها الى الاسلام ، ولكن العلماء المجاهدين الذين سهروا للدفاع عنه ورابطوا حول أصوله ، حالوا دون هوى المغرضين وكيف يتصور أن الاسلام نقل عن غيره وهو الدين الشامل الكامل الذى اشتمل على ما لم يشتمل عليه ما سبقه ؟ ! .

والناظر الى صحف اليهود الآن : لا يرى فيها شيئا عن الجنة والنار ، ولا الدار الآخرة ، فكيف يأخذ منها ؟ .

وواضح من كل ما سبق ، ومن جهود المسلمين سلفا وخلفا :
أن السنة النبوية حفظت من كل دخيل وموضوع ، وكيف لا : وهى
المبينة للقرآن الكريم ، الذى تكفل الله تعالى بحفظه وجاء بها
الرسول الأمين وحيا وصدقا :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١)

اعتراف بعض المستشرقين بصحة بعض السنة

اعترف أحد المستشرقين بصحة قسم جبر من السنة النبوية
التي حفظت فى الصدور ودونت فى الكتب بدقة بالغلة ، وعناية
لا نظير لها ، وهو : « دوزى » .

وما كان يعجب لكثير من الموضوعات والمكذوبات تتخلل كتب
الحديث ، فتلك — كما يقول : طبيعة الأشياء نفسها — بل الكثير
من الروايات الصحيحة الموثوقة التى لا يرقى اليها الشك ،
« ونصف صحيح البخارى على الأقل جدير بهذا الوصف عند أشد
المحدثين غلوا فى النقد ، مع أنها — أى الروايات الصحيحة —
تتشتمل على أمور كثيرة يود المؤمن الصادق لو لم ترد فيها (٢) » . ١٠ هـ .
هذا هو مخلص الدعوى كما أوردها الدكتور صبحى الصالحى ،
مشيرا الى أن عبارة دوزى فى الأصل أشد وقاحة من ان يوردها .

(١) سورة النجم آية ٣ — ٤

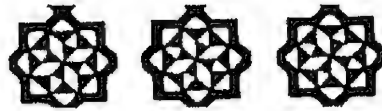
(٢) علوم الحديث ومصطلحه د. صبحى الصالحى .

الاجابة على ذلك :

نرى هنا : أن هذا المستشرق حاول أن ينصب الشرك حول بحوثه ، حيث مال الى الاعتراف بصحة قسم كبير من السنة النبوية بقصد غير شريف ، وغرض غير خالص . للعلم ، انما لمحاولة التجريح والنقد ، وهذا هو دأب المستشرقين ، يموهون الأمور ، ويصطنعون الانصاف المزيف للاسلام ، ليطمئن الباحث الى أفكارهم ، ثم يعتمد الواحد منهم فيدس السموم للاسلام وأصوله . . ولكن لم يعد خافيا عنا اعتراف المستشرقين بصحة بعض السنة النبوية ، او اثباتهم ببعض محاسن الاسلام ، فاننا لا ننتظر منهم اعترافا بشيء من ذلك ، ولا اطراء لبعض مبادئ الاسلام ومحامده ، فنحن المسلمين أوثق تراثا وأدرى بحقائق ديننا وخصائصه وأصوله ، ولدينا من الثقة واليقين ما لا يدع مجالا لتمويه المستشرقين ، وتحريفهم الكلم ، وتلبيسهم الحقائق مع الأباطيل ، فالحق أحق أن يتبع .

✽ وقد بذل رجال السنة جهودا مخلصة وأمانة في المحافظة على الحديث الشريف من الدس والتحريف ، وفي سبيل تثبتهم كانوا يتذكرون الأحاديث فيما بينهم لمعرفة ما يأخذون منها وترك ما ينكرونه ، وكانوا على حيطة بالغة ، وهم عالية ويقظة تامة ، بحيث يحفظون الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، خشية أن يختلط عليهم ، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصحيح وغيره بدقة فائقة ، روى أبو بكر بن الأثرم : أن أحمد بن حنبل رأى يحيى ابن معين بصنعاء في زاوية ، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان

عن أنس ، فإذا أطلع عليه انسان كتبه ، فقال له أحمد بن حنبل :
تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ؟ فلو
قال ذلك قائل : أنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟
فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله أكتب هذه الصحيفة عن
عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها ، وأعلم أنها
موضوعة ، حتى لا يجيء بعده انسان فيجعل بدل أبان ثابتا ،
ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذب ،
انما هي عن معمر عن أبان ، لا عن ثابت (١) ، ووضعوا علامات
يعرف بها الاسناد الموضوع كأن يكون الراوى معروفا بالكذب ،
ويتفرد برواية الحديث ولا يرويه ثقة غيره أو أن يقرؤا ضعفه ،
أو أن تكون هناك قرينة مانعة من صحة الحديث ، كأن يروى
الراوى عن شيخ لم يثبت لقاؤه به ، أو ولد بعد وفاته ، أو لم يدخل
المكان الذى ادعى سماعه فيه ، أو معرفة حال الراوى وبواعثه
النفسية ، ودرسوا مولد الرواة ووفاتهم واقامتهم ورحلاتهم ،
وقسموهم إلى طبقات ، الى غير ذلك يقول سفيان الثورى :
« لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » .



(١) الجامع لأخلاق الراوى .

ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعنوا بالنقد الداخلى

ومن مزاعم المستشرق « شاخت » : ما ادعاه — جهلا وبهتانا — بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجى ، أى من ناحية الرواة ، ولم يعتنوا بالنقد الداخلى ، وهو نقد المتن .

الاجابة عن ذلك :

لقد تصدى أئمة الحديث لكل من النقد الداخلى والخارجى والناظر فى علم مصطلح الحديث يرى ذلك واضحا تمام الوضوح ، والى أى مدى عنوا ببيان الشذوذ والاعلال فى السند أو فى المتن ، وقالوا : « ان العلة قد تكون فى المتن كما تكون فى السند » .

ومع هذا : فقد تبع بعض الكتاب ما قاله المستشرقون . فقال أبو رية : « وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد » .

والحقيقة : أن مثل هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم من الكتاب لو أمعنوا النظر ، ووجدوا كيف كان حكم أئمة الحديث على الأحاديث صحة وضعفا — لوجدوا النقد موجهها للمتن كثيرا ، كما يوجه الى السند ، بل فى كثير من الأحيان يكون النقد للسند أو الرواة مرجعه فيما نقله أو رواه من مزاكير أو موضوعات . فيقول أئمة الحديث

مثلا : « حديث منكر » أو « باطل » أو « شبه موضوع » أو « موضوع » ويقولون في الراوى : « يحدث بالمناكير » أو يقولون : « صاحب مناكير » أو « عنده مناكير » أو « منكر الحديث » ومعظم ذلك راجع الى جهة المعنى . . . يقول الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى : « ولما كان الأئمة فقد راعوا في توثيق الرواة النظر في أحاديثهم ، والطعن فيمن جاء بمنكر ، صار الغالب ألا يوجد حديث منكر الا وفي سنده مجروح أو خلل ، فلذلك : صاروا اذا استنكروا الحديث نظروا في سنده ، فوجدوا ما يبين وهنه فيذكرونه وكثيرا ما يستغنون بذلك عن التصريح بحال المتن ، انظر موضوعات ابن الجوزى وتدبر ، تجده : انما يعتمد الى المتن التى يرى فيها ما ينكره ولكنه قلما يصرح بذلك ، بل يكتفى غالبا بالطعن فى السند . وكذلك كتب العلل ، وما يعمل من الأحاديث فى التراجم ، تجد غالب ذلك مما ينكر متنه ، ولكن الأئمة يستغنون عن بيان ذلك بقولهم : « منكر » أو نحوه أو الكلام فى الراوى (١) . أ. ه .

وأما ما يظنه البعض من أن العناية بالسند أكثر من المتن : فليس على حقيقته ، وانما لأن السند تتعدد أحواله . . ومع ذلك : فقد وضع العلماء الصفات التى يجب توافرها فى صحة المتن . وحددوا العلامات الدالة على الوضع ، ومن أهمها : ركافة المعنى ، وفساده ، ومخالفته للقرآن أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى ، أو المخالفة للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها أو أن يصدر الحديث من راو تأييدا لمذهبه ، أو يشتمل الحديث على افراط فى الثواب

(١) الأنوار الكاشفة للأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى .

العظيم على العمل الصغير أو المبالغة في الوعيد الشديد على الأمر البسيط ، أو يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعي على نقله لوقوعه بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ، ولا يرويه الا واحد أو ما يصرح بتكذيب جمع المتواتر وهكذا .

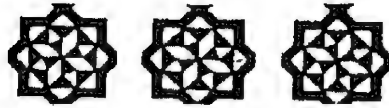
كما كان لذوق المؤمن مجاله في النقد ، ومعرفة الصحيح من المتون وغير الصحيح ، وهذا الذوق كان متفقا مع قوانين الرواية، يقول الربيع بن الخيثم : « ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه به ، وان من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تعرفه بها » . ويقول ابن الجوزي : « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب » .

ومما سبق : يتضح لنا ما وضعه علماء الحديث من القواعد الهامة التي عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع ، ووجهوا جهودهم الى نقد السند والمتن على السواء . وعلى بساط البحث العلمى نرى : أن تلك الدعاوى الزائفة التي حاول بعض المستشرقين أن يثروها لا أساس لها ولا وزن . وأن هؤلاء الطاعنين إنما وجهوا تلك المطاعن لحاجة في أنفسهم :

﴿ يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١)

(١) سورة الصف آية ٨ .

واذا كان هذا العدوان الظالم من بعض المستشرقين
المغرضين فان هناك بعضا من المستشرقين عرفوا الاسلام ووقفوا
على خصائصه واسلم بعضهم ، وكتب عن الاسلام بانصاف ، منهم
الأستاذ : محمد أسد « ليوبولد فايس » ، والأستاذ : عبد الرشيد
الانصارى « روبرت ولذى » والأستاذ : ناصر الدين « رينييه »
وغيرهم . . ومن دفاع : « توماس كارليل » عن الرسول صلى
الله عليه وسلم قوله : « وليست الرسالة التى أداها الا حقا
صراحا ، ولا كلامه الا صوتا صادرا من العالم المجهول (١) » .



(١) مفتریات على الاسلام للأستاذ : احمد محمد جمال .

السنة الشريفة وافتراءات

المبشرين والمستشرقين

عرفنا ما للسنة النبوية الشريفة من أصول ثابتة ، وقواعد محكمة ، نقلت بها إلينا ، ورويت على أساسها .

فمهما حرف المحرفون ، أو افترى الأعداء والمبشرون فإنها — بحمد الله — مصنوعة من كل عدوان ، محوطة بعناية فائقة ، متميزة بقوانين رصينة ، تتصل بالمتن والاسناد .

ومع هذا : فقد اتجهت سهام الأعداء إليها ، فى سلسلة الحروب القتالية والثقافية ، التى شنوها على الاسلام والمسلمين فى مختلف المجالات والميادين .

ولقد قام التبشير بدور خطير فى هذا المضمار ، وكان الذى حدا بأوروبا الى هذا اللون من العدوان ، أنها فشلت فى الحروب الصليبية ان تصل الى ما تريد عن طريق السيف والمنازلة .

ولذا لجأت الى التبشير كنوع خطير من أنواع الحروب الصليبية الجديدة .

وأخذ التبشير أشكالاً متعددة وأساليب متنوعة فمن التعليم مرة ، الى الطب مرة أخرى ، الى الاذاعة والصحف والمجلات .

وقد استخدموا المدارس والمستشفيات ، ليتقنع التبشير بنشر العلم ، أو الطب المجاني ، أو الخدمات الاجتماعية ، وكلها وسائل تلتقى عند غاية واحدة هي :

السيطرة على الثقافة الدينية ، ووضع الكتب والرسائل التي تطفح بالمثالب ، والطعن في الاسلام والمسلمين والتجنى على أصول هذا الدين وفي مقدمتها : القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ولنتناول هنا بعض الافتراءات التي افترها بعض المبشرين على السنة الشريفة .

يقول المبشر الأمريكي « جب » : « الاسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن ، ولكننا اذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الاسلام شيء ، وصار أشبه بصبيرة طومسون ، وطومسون هذا رجل أمريكي ، جاء الى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر ، فلما نقي منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء » أهـ. (١) .

(١) التبشير والاستعمار د. مصطفى خالد ، د. عمر قروح .

ومن افتراءاتهم كذلك قولهم : وبينما كان محمد يعظ ، كان المؤمنون يدونون كلماته على عجل .

● ففى الافتراء الأول : محاولة عدوانية ظالمة ، للتجنى على السنة النبوية الشريفة التى جاءت مفسرة للقرآن الكريم ، ومفصلة لأجمله وموضحة لمبهمه ، ومبينة لأحكامه .

ونلاحظ : أنه يريد أن يصور السنة وكأنها مجموعة من الأخبار التى اذا نقيت لم يبق منها شىء .

● وفى هذا افتراء متبجح ، ومحاولة اجرامية للنيل من السنة النبوية فان السنة الشريفة قد ثبتت بأدق طرق الرواية ، والنقل الصحيح ولقد كان الاسناد الصحيح المتصل خصيصة لهذه الأمة ، ليس لغيرها من الأمم .

قال ابن حزم : « نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل . وأما مع الارسال والاعضال : فيوجد فى كثير من اليهود ، لكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا ، وانما يبلغون الى شمعون ونحوه .

قال : وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق فقط ، وأما النقل بالطريق المشتعلة على كذاب أو مجهول العين فكثير فى نقل اليهود والنصارى .

وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا
الى صاحب نبي أصلا ، ولا الى تابع له ، ولا يمكن للنصارى أن
يصلوا الى أعلى من شمعون وبولص « أهـ .

ولقد نوه القرآن الكريم بذكر الاسناد فى قوله تعالى :
« **أو إثارة من علم** » •

فقد روى الحاكم وغيره عن مطر الوراق فى هذه الآية قال :
« اسناد الحديث » . وقال ابن المبارك : « الاسناد من الدين ،
لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (١) .

والاسناد من خصائص هذه الأمة ، قال أبو على الجبائى :
خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء ، لم يعطها من قبلها :
(الاسناد ، والأنساب ، والاعراب)

وعنى أئمة الحديث : بنقد السند والمتن ، ومراعاة العدالة
والضبط ، فلا يؤخذ الحديث من أهل البدعة ، ولا من سفيه ،
ولا ممن عرف بالكذب فى أحاديث الناس .
يقول الامام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ عن
سواهم .

لا يؤخذ من مبتدع يدعو الى بدعته ، ولا عن سفيه يعلن
بالسفه ، ولا عن يكذب فى أحاديث الناس ، وان كان يصدق
فى أحاديث النبی صلى الله عليه وسلم ، ولا عن لا يعرف هذا
الشأن » .

(١) رواه مسلم

وكانت هم أئمة الحديث وحفاظه عالية ، وعنايتهم بانتقاء الأحاديث الصحيحة فائقة فهذا هو : الامام أحمد بن حنبل يقول :
« انتقيت » المسند « من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف حديث » .

ولدقتهم فى تمييز الصحيح من غيره ، كان بعض أئمة الحديث يحفظ الصحيح من الأحاديث ، ويحفظ أيضا غير الصحيح حتى لا يلتبس على الناس هذا بذاك .

وحتى لا يأتى من يخلط بينهما أو يحاول تلبيس الأمور فميزوا بذلك الصحيح من السقيم .

فقد كان الامام البخارى يحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح .

وصنف الامام مسلم « صحيحه » من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

وكتب الامام أبو داود خمسمائة ألف حديث انتخب منها ما ضمنه كتاب : « السنن » .

وهكذا : بهذه الدقة الفائقة ، والجهود المخلصة قىض الله تعالى لحفظ السنة الشريفة رجالا أمناء ، وحفاظا ثقات ، أثنوا أعمارهم ، فى جمع السنة الصحيحة وتدوينها ، وحفظها من لدن صدورهم من فمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه ، الى أن وصلت الينا نقية صحيحة ، خالصة ببيضاء ، فى كتب الصحاح التى أشرقت على دنيا الناس ، فكان منها صحيحا البخارى ومسلم ، اللذان تلقتهما الأمة الاسلامية بالقبول .

وغير ذلك من الكتب الصحيحة والسنن والمسانيد والمعاجم
والمستدرجات والمستخرجات ، وما الى ذلك ، مما هو مدون فى كتب
السنة الصحيحة .

فادعاء اعداء الاسلام والمبشرين والمستشرقين وأبواق الكفر
والاحاد ادعاء كاذب ، وعدوان ظالم ، وتجن على الاسلام وعلى
مصادره الأصيلة ، التى تمثلت فى كتاب الله تعالى ، وفى سنة
رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وأما الشبهة الأخرى التى حاول بعض المبشرين أن يلصقوها
بالسنة الشريفة ، فهى قولهم :

« وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون يدونون كلماته على
عجل ، انهم هنا يريدون أن يثيروا حول السنة أنها لم تدون تدويننا
دقيقا ، يتسم بالروية والأناة والتثبت ، وهى شبهة لا أساس لها
من الصحة فما عرفت البشرية على مر أدوار الحياة قاريا من
التواريخ ، أو علما من العلوم نقل بأدق وأعظم مما نقلت به السنة
الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وما كان المؤمنون يدونون أحاديث الرسول صلى الله عليه
وسلم وكلماته على عجل ، كما يدعى اعداء الاسلام وخصوم السنة
الشريفة ، وإنما كانوا فى غاية التثبت والحيطه ، ينتهون من الراوى
والروى أو السند والمتن تثبتا قويا ، فمأ اطمأنوا اليه قبلوه ،
وما لم يطمئنوا اليه طلبوا عليه شاهدا ، وما لم تقم البينة على
صدقه ردوه .

وكان تثبتهم قائما على ميزان النقد العلمى الصحيح .

ومنع الصحابة الرواة من أن يحدثوا بما يعلو على فهم العامة
لأن في هذا مدعاة لتكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه ، ومدعاة
للخطأ والشك في الدين ، فامتنعوا عن ذلك خشية أن يستغل
أصحاب الأهواء ظاهر النصوص لصالح بدعهم وأهوائهم .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود قال :
« ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم
فتنة » رواه مسلم .

ومن أمثلة التثبيت عن الصحابة ما رواه البخاري عن ابي
سعيد الخدري قال :

كنت في مجلس من مجالس الانصارى اذ جاء أبو موسى
كأنه مذعور فقال :

استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت : فقال ما
منعك ؟

قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

« اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

فقال : والله لتقيمن عليه بينة ، أمنكم احد سمعه من النبى
صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال أبى بن كعب : والله لا يقوم معك الا أصغر القوم .
فكنت أصغر القوم ، فقممت معه ، فأخبرت عمر أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ذلك ، فقال عمر لأبى موسى : أما انى لم أتهمك .
ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد سار على سنة التثيت التابعون ، ومن جاء بعدهم وعنوا
بالأسانيد ، والنقد العلمى الدقيق .

ولما كان الصحابة متفاوتين فى العلم ، فلم يكن عند الجميع
ما قتاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد بدأت الرحلات العلمية،
فقام الصحابة والتابعون بالرحلات العلمية الى كثير من البلاد حتى
تميز البعض بكثرة الرحلات والانتساب الى أكثر من بلد ،
وكانت الرحلة سبيلا الى طلب الحديث وضبطه والتثيت منه .

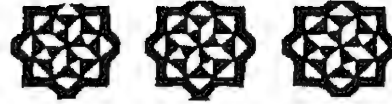
وهكذا : كانوا يثبتون فى أخذ الحديث وروايته وضبطه
وتدوينه .

وبموازن النقد العلمى النزيه ، تلقوه خلفا عن سلف ، حتى
وصل الينا فى هذه الدواوين المعتمدة ، والجوامع الواسعة .

أفبعد كل هذا : يقول أعداء السنة من المبشرين والمستشرقين
ومن على شاكلتهم ، محاولين الصاق الشبه بالسنة ، ومحاولة
اضعاف الروح الدينى عند كثير من المسلمين ، بغيا منهم وعدوانا
ولحاجة فى أنفسهم ؟ .

وأن الحديث النبوى الصحيح الذى بين أيدينا اليوم ، فى
صحيح البخارى وفى صحيح مسلم ، وفى غيرهما من الكتب
الصحيحة لأكبر شاهد على عناية المسلمين بسنة نبيهم صلوات الله
وسلامه عليه .

وكان من عناية الله سبحانه وتعالى ، أن قيض لسنة نبيه
صلوات الله وسلامه عليه أولئك الحفاظ الأمناء ، والائمة العدول
الضابطين الذين نقشوها على صفحات قلوبهم الأمانة ، واستوعبتها
ذاكرتهم الحافظة التي استظهرت الكثير منها بشيء منقطع النظير .
كما دونوها في صحائفهم الصادقة ، وكتبهم المعتمدة ، فجاءت
في ثوبها الالهى المشرق ، مصونة من تحريف الغالين ، وانتحال
المبطلين ، وتأويل الجاهلين .



عدوان على السنة الصحيحة والرد عليه

لقد قبيض الله تعالى لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم رجالا أمناء ، وحفاظا مجاهدين ، أفنوا الأعمار فى سبيل الحفاظ على السنة الشريفة .. وكان لهم دفاعهم عنها ورد السهام دونها .

ولكن حملات أعداء الاسلام ، ومحاولتهم الغزو فى صور عديدة كانت تتشكل فى كل جولة بما يلائم عصرها .

فمن الفرق الضالة الخارجة عن الاسلام .. الى الأعداء الظاهرين .. الى المستشرقين .. الى المنتظمين فى صفوف الغزو الفكرى .. الى من جرفتهم سيول المدنية المتحولة ، وجروا وراء الأفلام الاباحية والمعادية للإسلام والسنة .

ولكن رجال السنة ، كانوا وما زالوا بحمد الله لكل الأعداء بالمرصاد ، يجاهدون وينافحون .

ولقد راح البعض ، فى هذه الآونة يردد طعون سابقيه من المستشرقين والكتاب المأجورين ، والشيوخ الذين يدفعون يهؤلاء فى الميدان لحرب الاسلام ، ممثلا فى تراثه ، وفى السنة الشريفة .

ومن ذلك : بعض تلك الموجات الطائشة التى تتدافع على صفحات بعض الجرائد اليومية ، فى بعض البلاد الاسلامية والعربية .

وقد تناولت الرد على ذلك فى مجلة « الدعوة » السعودية ، ورددت على من انكر حديث :

« اذا وقع الذباب فى اناء احدكم فليغمسه كله ثم يطرحه ، فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء » . لقد ادعى بعض المنكرين ان الحديث غير صحيح ، وأنه يتعارض مع الآية الشريفة :

﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾^(١)

فبالله : أى منطق هذا الذى يريد ان يحرف الكلم عن مواضعه، ويؤول القرآن على حسب هواه ، وبما يؤيد ما يريد ؟
أيصل الأمر الى هذا الحد ؟
أيناقض القرآن الحديث ؟

أهذا ما يريده القرآن : أن للذباب خاصية السلب ؟ . لو ان قتائل هذا القول ، كلف نفسه قليلا من النظر الى بقية الآية ، أو كان ممن يعلمون أسباب النزول ، لعرف أن الآية لا تخص الذباب ، وليست القضية فيه، وانما هذا مثل ضربه الله لمن يعبدون الأصنام، بأن الأصنام لا تقدر على خلق الذباب مع صغره، ولو اجتمعوا لخلقه، ثم بين غاية جهلهم بأن هذه التماثيل لا تقدر على خلق أقل الأحياء،

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

ولا تقوى على مقاومته وتعجز عن دفعه عن نفسها ، واستنقاده ما يختطفه منها ، قال الله تعالى :

○ ————— ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ ۖ

فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴿ (١)

هذا هو المعنى ، كما يفهم من الآية ، لا كما حاول بعض الكتاب أن يلبس الأمور ، وأن يخرج بالقرآن عن غير مراد الله تعالى ، الى مراد نفسه ، ليقوى رايه ، ويخرج من ذلك بأن هذه الآية تناقض الحديث ، ونقول : انها ليست دليلا أبدا على ما يريدونه ، وخروجهم بمراد القرآن الى هذه الصورة افتراء جديد ، وافك مفترى ، وحسابهم على الله .

وأما عن حديث « الذباب » فإسناده صحيح .. فقد رواه الأئمة : أحمد والبخارى وأبو داود وابن ماجه والبيهقى وغيرهم . وليعلم المنكرون أن هذا الحديث لم يستدركه أحد من الأئمة على البخارى ، وانما هو مما جاء على شرطه فى أعلى درجات الصحة .

(١) سورة الحج آية ٧٣

ومعلوم أن صحيح البخارى قد اتفق علماء الأمة الاسلامية
على تلقيه بالقبول .

وقد تتبعنا سند الحديث فى الكتب التى أخرجته فكانت
النتيجة :

أنه قد رواه من الصحابة :

أبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنس بن مالك . ورواه
عن كل واحد من الصحابة مجموعة من التابعين . . وهكذا حتى
وصل الى الأئمة الذين أخرجوه فى كتبهم ، وجميع الروايات متصلة
وصحيحة ، بل فى أعلى درجات الصحة ، زادت على عشرين
طريقا ، هذا من جهة سند الحديث .

وأما من جهة المتن : فبرغم ما اكتشفه بعض المهرة من
الأطباء من وجود مادة قاتلة للميكروب ، فإننا لن نعول على هذه
الاكتشافات الحديثة ، لأنها لم تعجب بعض الكتاب ، ولأنها ليست
وحدها الدليل على صحة متن الحديث .

وإذا ما تأكدنا من اتصال الحديث وصحته ، فلسنا بحاجة
الى رأى طبيب أو كاتب أو مكتشف ، بعد أن وضع لنا أن الحديث
قاله الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهل ندع ما جاء من مشكاة النبوة ، ونركن الى رأى البشر
فى تضاربه وخطئه وصوابه ؟

واننا لنرى رأى العين أكثر الناس يأكل مما يسقط عليه
الذباب ، ويشرب منه ، ولا يصيبهم شئ الا فى القليل النادر . ومن
ذا الذى يكابر فى هذا ؟

ومع هذا : فنحن لا نشك في ضرر الذباب الشديد ، لا سيما
أثناء وقوع الوباء العام .

وليس معنى هذا : أن ننتهون في شأنه ، أو نتساهل بالنسبة
له في حياتنا . فالاسلام دين النظافة .. وقد حرص الاسلام على
الوقاية ، والبعد عن مواطن التهلكة ، ويجب علينا نظافة الثوب
والبدن والمكان والطعام والشراب .

ولكن لأن الذباب مما يتعذر دفعه كثيرا .. وتتعذر الوقاية
منه في كثير من الأحوال ، فإذا دعت الضرورة ووقع في الطعام فإن
الحديث الشريف ، يكشف لنا عن خاصية كانت غامضة ، وهى
ما تحتوى عليه الذبابة من مادة مضادة لكثير من الأمراض فإن نحن
غمسنا الذبابة وخرج السائل قتلت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم
المرضية .. والعقل لا يرفض ذلك .

نعم : قد يستغربه ، والغرابة ناشئة عن عدم المعرفة
بمادته ، ولأن النفس تعافه ، وليست ناشئة من استحالة وجود
ما فيه من خصائص .

والذين حكموا عقولهم في الحديث ، لا نراهم يفرقون بين
ما استحال تصوره ، وما يستغرب تصوره ، وهذا ناشئ من
غرورهم العقلى الذى لا يجدى غتيلا .

بل ان بعض المنكرين يدعى أن الحديث يتنافى مع المكتشفات
الحديثة من الميكروبات .. والعجيب : أنهم آمنوا بتلك المكتشفات
أكثر من إيمانهم بالغيب ، وبما قاله المعصوم الذى لا ينطق عن

الهوى . . ولكنهم لا يصرحون ، لقد حاولوا انكار السنة الصحيحة
حبا في الجرى وراء كل جديد وبراق .

وأغرب من هذا : أن كثيرين من الناس يؤمنون بخرافات
الأوربيين ، وينكرون حقائق الاسلام أو يتأولونها ، ومنهم من يؤمن
بخرافة استحضر الأرواح ، وينكر وجود الملائكة بتأويله العصري
الحديث ، وليستمع المنكرون والمكابرون الى قول ابن قتيبة :

« أن من حمل أمر الدين على ما شاهد ، فجعل الذباب
لا يعلم موضع السم ، وموضع الشفاء واعترض على ما جاء في
الحديث مما لا يفهمه ، فإنه منسلخ من الاسلام مخالف لما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما درج عليه الخيار — من
صحابته — والتابعون .

ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم،
كمن كذب به كله (١) » .

وقال الخطابي :

تكلم على هذا الحديث من لاخلق له ، فقال : كيف يجتمع
الشفاء والداء في جناحي الذباب ؟

وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الشفاء وما ألجأه
الى ذلك .

(١) أنظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٩٠ ج ١ المطبعة العلمية
بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .

قال : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فان كثيرا من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة ، وقد الف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان ، وان الذى الهم النحلة البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه ، والهم النملة أن تدخر قوتها أو ان حاجتها ، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت ، لقادر على الهام الذبابة أن تقدم جناحا وتأخر الآخر .

وقال ابن الجوزى : ان النحلة تعسل من أعلاها وتلقى السم من أسفلها . . والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق ، الذى يعالج به السم .

وذكر بعض حذاق الأطباء : أن فى الذبابة قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعة ، وهى بمنزلة السلاح له فإذا سقط الذباب فيما يؤذيه تلقاه بسلاحه ، فأمر الشارع أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله تعالى فى الجناح الآخر من الشفاء ، فتقابل المادتان فيزول الضرر ، بذن الله تعالى (١) . ١٠ هـ .

ان الاسلام ينادى بالنظافة ، ويدعو الى وقاية الصحة وهذا الحديث ليس فيه ما يناقض ذلك وانما فيه درء الضرر الذى يترتب من وجود المادة السامة بأخرى مزيلة للسم ، وذلك هو لمن لا تعاف نفسه ذلك ، ولن يحتاج للطعام أو الشراب لضرورة وحاجة .

(١) من فتح البارى ج ١ ص ١٩٧ المطبعة الخيرية .

وعلماء الطب والطبيعة وغيرهم يعترفون بأنهم ما وسعوا كل شيء علما ، ولم يحيطوا بدقائق كل العلوم والمعارف . . واكتشافات العلم كانت وما زالت تتوالى من اكتشاف شيء بعد آخر .

نبأية عقيدة وإيمان : ينفى هؤلاء المنكرون أن يكون الله تعالى أطلع رسوله عليه الصلاة والسلام على أمر لم يصل إليه علماء الطب وعلماء الطبيعة بعد .

هذا : وخالق الطبيعة ومدبرها هو واضع الشريعة ، وقد علم سبحانه أن كثيرا من عباده يكونون في ضيق من العيش وقد يكون قوتهم قليلا من اللبن أو العسل وحده . . فلو أمروا بآراقة كل ما وقعت فيه الذبابة لأجحف ذلك بهم . . فأغاثهم بهذا الحديث . . فمن خالف هواه وطبعه في استقذار الذبابة غمسه ، تصديقا لله ولرسوله ، دفع الله عنه الضر . فكان من غمس ما لم يكن قد انغمس ما يدفع ضرر ما كان قد انغمس من قبل .

وإذا كان العلم يثبت لقوة الاعتقاد تأثيرا بالغا ، فما بالناس باعتقاد منشؤه الإيمان بالله ورسوله (١) « أ. ه .

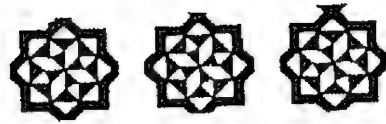
واليوم : إذ نقدم للقراء بعض هذه الردود على تلك الآراء الظالمة للسنة الصحيحة ، فإنها امتداد لدفاع سابق نشرنا فيه الرد على بعض الآراء الجامحة والظالمة ، وهي بمشيئة الله ردود موصولة الجهاد لما ينشر حاليا ، وما يحاول إذاعته ونشره بعض

(١) من الأنوار الكاشفة للأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

الذين وقعوا فريسة الغزو الفكرى ، ومن غرهم الجرى وراء نغمة
التجديد والتطوير .

ونحن نناشد كل الأعلام المجاهدة الشريفة ، أن يشرعوا
أقلامهم المسلمة فى وجه كل عدوان على السنة ، والوقوف فى
مواجهة التيارات المعادية للإسلام ، ورد تلك الموجات الفكرية التى
تحاول النيل من السنة الصحيحة .

وننادى جميع المسلمين والمثقفين أن يوقفوا على تراثهم وأن
يتعلموا من سنة رسولهم صلوات الله وسلامه عليه كل ما وسعهم ،
وآلا يهملوا كتب شروح السنة الصحيحة ، وفيها ما يفى بحاجة
الفكر الإسلامى ، ويرد سهام كل متطاول الى نحره . . والله يهدى
الى سواء السبيل .



الفصل الثالث
دفاع عن محبة السنة
رد ما أُثير حول محبتها

دفاع عن حجية السنة ورد ما أثير حول حجيتها

الحديث النبوي الشريف ، ، حجة في الأحكام ، ومصدر ثان
للتشريع بعد كتاب الله سبحانه ، وتعالى .

ولقد أمر الله تعالى بوجوب طاعة الرسو ، صلى الله عليه
ومسلم ، ووضح سبحانه أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ،
هو الذى يبين للناس ما نزل اليهم .

قال سبحانه :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢)

وقال تعالى

○ ————— ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة النحل آية ١٤

(٢) سورة آل عمران آية ٣٢

وقد جعل الله سبحانه ، التولى عن طاعة الله ، وعن طاعة الرسول كفرا ، لأن من أركان الإيمان بالله : الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بأن كل ما أتى به حق وصدق .

عن عمران بن حصين أنه قال لرجل : انك امرؤ أحق ، أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة ، والزكاة .. ونحو هذا .. ثم قال : أتجد ذلك فى كتاب الله مفسرا ؟ .

ان كتاب الله أبهم هذا ، وان السنة تفسر ذلك .

رد بعض الشبهة والطعون

ذهب بعض أصحاب الآراء الجامحة — من الفرق والطوائف — الى انكار حجية السنة جملة — متواترة كانت أو آحادا — مستنديين فى ذلك الى فهمهم السقيم فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢)

وأصل هذا الراى الفاسد — وهو : رد السنة والاقتصار على القرآن — أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا الى

(١) سورة النحل آية ٨٩

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨

انكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصار على القرآن .. ونسبوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنأ قلته ، وما خالف فلم أقله) .
 كما استدلوأ على عدم حجيتها أيضا : بنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة وأمره بمحو ما كتب منها .
 والاجابة على هذه الشبهة تتلخص فيما يأتى :
 أولا : أن قوله تعالى :

﴿ وَزَلْنَأ عَلَيْكَ الْكِتَأَبَ ، تَبِينَأ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١)

المراد — والله أعلم — أن الكتاب، يبين أمور الدين بالنص الذى ورد فيه ، أو بالاحالة على السنة التى توت بيانه ، والا فلو لم يكن الأمر كذلك لتناقضت الآية مع قوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَأ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢)

ثانيا : وأما قوله تعالى :

﴿ مَا فَرَطْنَأ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٣)

فالكتاب هو اللوح المحفوظ بدليل السياق .

﴿ وَمِمَّنْ دَأَبَ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (٤)

-
- (١) سورة النحل آية ٨٩ .
 (٢) سورة النحل آية ٤٤ .
 (٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .
 (٤) سورة الأنعام آية ٣٨ .

وعلى تقدير أنه القرآن ، فالمعنى أنه يحتوى على كل أمور الدين ، أما بالنص الصريح ، وأما ببيان السنة له .

ثالثا : وأما الحديث الذى نسبوه الى النبى فزعموا — حسب ادعائهم — أنه يفيد ضرورة عرض السنة على الكتاب ، فقد قال فيه الامام الشافعى رحمه الله تعالى :

« ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شيء صغر ولا كبر » .
وذكر أئمة الحديث : أنه موضوع ، وضعته الزنادقة . قال عبد الرحمن بن مهدي : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، وهذه الالفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم ، وقالوا : نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ، ونعتمد على ذلك ، قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله ، لأننا لم نجد فى كتاب الله أنه لا يقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله ، يطلق التأسى به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال .

رابعا : وأما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة : فلا يدل على عدم حجيتها ، لأن المصلحة يومئذ كانت تقضى بتضافر كتاب الصحابة ، وهم قلة على جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه أولا : خشية أن يلتبس بغيره على البعض ، فنهاهم عن تدوين السنة ، حتى لا يكون تدوينها شاغلا عن القرآن أو أن النهى كان بالنسبة لمن يوثق بحفظه .

واخيرا : فكيف يترك الاحتجاج بالسنة ، اقتصارا على القرآن ؟ ولا سبيل الى فهم القرآن الا عن طريق السنة الصحيحة التى يعلم بها المفسر اسباب النزول ، والظروف والمناسبات والوقائع الخاصة التى نزلت فيها آيات القرآن الكريم ، ولا سبيل الى معرفة ذلك الا عن طريق السنة الصحيحة .

الرد على من ينكر الاحتجاج بخبر الواحد

من الحديث : ما هو ، متواتر ، ومنه ما هو ، آحاد فأما الحديث المتواتر : فقد عرفه العلماء بأنه : « هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بأن يكونوا جميعا لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الاسناد الى آخره » .

ولذا : كان مفيدا للعلم الضرورى ، وهو الذى يضطر اليه الانسان ، بحيث لا يمكنه دفعه ، ويجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولا يشترط فيه عدد معين فى الأصح .

وأما الحديث الآحاد : وهو الخبر الذى لم تبلغ نقلته فى الكثرة مبلغ الخبر المتواتر ، سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، الى غير ذلك من الاعداد التى تشعر بأن الخبر دخل بها فى حيز المتواتر .

وقيل فى تعريفه : هو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر ، سواء كان الراوى له واحدا أو أكثر . . والتعريفان يتفقان فى أن خبر الواحد لا تجتمع فيه شروط المتواتر ، فهما متقاربان .

وقد اتفق جمهور المسلمين — من الصحابة والتابعين وغيرهم — على وجوب العمل بخبر الواحد ، وأنه حجة ، ويفيد الظن ، ومنع من وجوب العمل به بعض الطوائف : كالروافض والقدرية .. وبعض المتكلمين .

والدليل على وجوب العمل بخبر الواحد ما يأتي :

أولاً : قال الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١)

والنبا : هو : الخبر ، وهو نكرة فى سياق الشرط فيعم كل خبر ، ويدخل فيه الخبر الذى يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم قبل غيره ، لأهميته ، وقد أوجب الله تعالى التثبت فيه لوجود الفسق ، فإذا انتفى هذا السبب بأن كان المخبر ثقة عدلاً قبل الخبر من غير تثبت ولا توقف .

ثانياً : ورد فى السنة الشريفة ، ما يدل على قبول خبر الواحد من ذلك : ما روى عن سفيان بن عيينه عن عبد الملك بن عمير عن

(١) سورة الحجرات آية ٦

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(**نضر الله عبدا سمع مقالتي ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم**) .

وفي هذا الحديث يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لاستماع مقالته وأدائها ، ويدعو بالنصرة للقائم بذلك . فيقول : « **نضر الله عبدا** » . وفي رواية « امرأ » وكل واحدة من الكلمتين بمعنى « الواحد » والرسول لا يأمر أن يؤدي عنه إلا الذي تقوم به الحجة ، فدل ذلك على وجوب العمل بخبر الأحاد .

وقد تواتر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يبعث بكتبه ورساله ، ويلزم المسلمين العمل بالأحاديث منها .

ثالثا :

اجماع الصحابة المستفاد من الوقائع الكثيرة التي كانت تحدث وتتواتر عنهم في العمل بخبر الواحد ، وكثيرا ما يكون لهم رأى في أمر من الأمور ، فاذا جاء خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا به وتركوا آراءهم ، كما كانوا يرجعون الى بيت النبوة في بعض ما يحتاجون اليه ، فيسألون أمهات المؤمنين ، رغبة منهم في

الوقوف على حكم النبی صلی الله علیه وسلم فی مثل هذه الأمور .
وعلى هذا المنهج سار التابعون من بعدهم .

ومما يشهد للعمل بخبر الواحد : ان الصحابة كانوا يكتفون
به فيما ينزل من أحكام الدين ، ولا يطلبون خبرا آخر .

من ذلك : ما روى عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال :
بينما الناس بقباء فی صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقتل :

ان النبی قد أنزل علیه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل
القبلة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام ، فاستداروا الى
الكعبة .

فقد أخبرهم بتحويل القبلة واحد صادق ، فلو لم يكن خبر
الواحد جائزا لما تحولوا الى الكعبة بخبره .

رد بعض الاعتراضات

✽ قد يعترض على العمل بخبر الواحد ، بتوقف بعض
الصحابة فی العمل به ، وطلبهم شاهدا أو يميناً .

والجواب على ذلك : أن هذا كله لم يكن لان الحديث خبر
آحاد ، وانما لزيادة التثبت فی الراوى والمروى ، وشدة الحيطه
فی ذلك . فربما وقع لهم الشك فی الراوى ، بأن كان غير حافظ
أو غير ضابط ، فطلبوا الشاهد أو اليمين لذلك .

❖ وقد يعترض كذلك : بأن الصحابة لم يكثرُوا من رواية السنة ، وقصروا العمل على القرآن ، والمشهور من الأحاديث واجتهدوا بالرأى بعد ذلك .

والجواب على ذلك : أنهم ما تركوا الحديث الصحيح ولا لجأوا الى الرأى . . وتشهد بذلك الوقائع الكثيرة الماثورة عنهم ، بل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول :

« اياكم والرأى ، فان أصحاب الرأى أعداء السنن أعيثهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلفت منهم أن يحفظوها ، فقالوا فى الدين برأيهم » .

وأما ما جاء من الصحابة فى الاجتهاد بالرأى ، فانه لم يكن الا بعد البحث عن الحديث ، فاذا لم يجدوه اجتهدوا برأيهم . فاذا جاءهم — بعد ذلك — حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتبعوه وتركوا الرأى . وعن عبد الله بن مسعود قال :

« من عرض له منكم قضاء فليقض بما فى كتاب الله ، فان لم يكن فى كتاب الله فليقض بما قضى فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان جاء أمر ليس فى كتاب الله ولم يقض فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جاء أمر ليس فى كتاب الله ، ولم يقض به نبيه ، ولم يقض به الصالحون ، فليجتهد برأيه ، فان لم يحسن فليقم ولا يستحى .

شروط العمل بخبر الواحد

اشترط العلماء فى قبول خبر الواحد ، ووجوب العمل به شروطا كفلت الاحتجاج به ، والعمل بما فيه .

وبهذه الشروط ، اندفعت الشبهة التى أثارها المشككون حول الحديث وأصبح لا مجال لطعنهم ، وقولهم : « ان الراوى يجوز عليه الكذب أو الغلط مع احتمال الصدق ، فثبوت الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير مقطوع به » .

لا مجال لمثل هذا القول ، فان الشروط التى اشترطها الائمة والعلماء كانت كافية فى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب وهذه الشروط مناهما هو فى راوى الحديث ، ومنها ما هو فى متن الحديث .

أما الشروط الخاصة براوى الحديث فهى

- ١ — العدالة .
 - ٢ — الضبط .
 - ٣ — أن يكون فقيها .
 - ٤ — أن يعمل الراوى بما يوافق الخبر ولا يخالفه .
 - ٥ — أن يؤدى الحديث بحروفه .
 - ٦ — أن يكون عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ .
- وأما الشروط الخاصة بالحديث فهى :

- ١ — أن يكون متصل السند برسول الله صلى الله عليه وسلم .
 - ٢ — خلوه من الشذوذ والعلة .
 - ٣ — ألا يخالف السنة المشهورة قولية كانت أو فعلية .
 - ٤ — ألا يخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون ، وألا يخالف عموم الكتاب أو ظاهره .
 - ٥ — ألا يكون بعض السلف قد طعن فيه .
 - ٦ — ألا يشتمل الحديث على زيادة فى المتن أو السند انفرد بها .
- راويه عن الثقات .

وهكذا احتاط العلماء فى قبول خبر الواحد ، فاشتروا له الشروط الكافية ، ووضعوا لراويه الصفات اللازمة التى تجمع بين الثقة فى الدين ، والصدق فى الحديث .

قال الخطيب البغدادي — فى الكفاية :

« وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين فى سائر أمصار المسلمين الى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم انكار لذلك ، ولا اعتراض عليه » .

وهكذا : وبمثل هذه المقاييس الدقيقة ، والشروط القوية المحكمة ، وضع علماء الحديث موازين النقد العلمى النزيه ، التى لا تعرف لها الدنيا مثيلا . واندفع ما يحاوله أعداء السنة وأعداء الاسلام وما يلقون به فى محيط الحديث النبوى .

دفاع عن السنة مع مسند الإمام أحمد بن حنبل

من بين مدونات الحديث الجامعة : « مسند الامام احمد بن حنبل » .

وقد روى عن ابنه عبد الله انه قال : قلت لأبى رحمه الله :
لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال : « عملت هذا
الكتاب اماما ، اذا اختلف الناس في سنة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجع اليه » .

مع هذا : فقد تعرض « المسند » لطعون المستشرقين ودعاوى
أعداء الاسلام ، تلك الدعاوى التى أثرت حوله كما أثرت حول
غيره من كتب السنة المعتمدة .

وكتاب « المسند » للإمام أحمد بن حنبل ، يعتبر من أمهات
كتب السنة ، وأصول المسانيد ، ومدونات الحديث ، التى كان
لها أكبر الأثر ، فى حفظ الكثير من سنة الرسول صلوات الله
وسلامه عليه .

ولما كان لهذا الكتاب الضخم أهميته الكبيرة في مجال السنة
وأثره البالغ في الاسلام ، فقد كانت وجهة أعداء الدين اليه بالغة
وكبيرة ، وكانت سهامهم مصوبة نحوه .

ولقد تتابعت حملات المستشرقين ، وأعداء الدين ، ومن
لف لفهم من أعداء السنة ، الذين لبسوا ثوب الاسلام في الظاهر . .
وخدع كثير من الناس بكتابات المستشرقين ، وأعداء الدين ، ممن
وقعوا فريسة الاغراء ، وغرهم الجرى وراء كل جديد براق .

وقد طعن « أبو رية » في مسند الامام أحمد وغيره من كتب
المسانيد في كتابه : « أضواء على السنة المحمدية » حيث قال :

« واننا لم نعرض لهذا الكتاب — يريد مسند الامام أحمد —
ولا الى غيره من كتب المسانيد بالتفصيل ، وهي كثيرة الا لأن العلماء ،
قد تكلموا فيها ، وقضوا بأنه لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التعويل
عليها ، على أننا قد رأينا أن نتكلم عن مسند أحمد الذي هو أشهرها
لنبين للمسلمين حقيقته ، ونكشف عن درجته » .

ونرى هذا الكاتب في خلال عرضه للدليل على دعواه
الزائفة ينقل كلام الشيخ طاهر الجزائري في كتاب « توجيه النظر »
حيث قال :

« وكتب المسانيد هي ما أورد فيها حديث كل صحابي على
حدة من غير نظر للأبواب ، وقد جرت عادة مصنفها أن يجمعوا
في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحا كان أو سقيما . .
ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقا » .

وسار في ذيل المستشرقين واتباعهم بعض من المخدوعين من الكتاب . . ومن هؤلاء من نقل كلام « أبى رية » ومنهم من نقل كلام المستشرقين .

وأخرج البعض كتباً تطفح بالمثالب ، وتجاوز على الحرمات وتطعن السنة الشريفة .

والحق : أن كتب المسانيد تأتى رتبته بعد السنن . ولكن دعوى : أن الأئمة لا يحتجون بما فى كتب المسانيد ولا يعولون عليها ، فهذا هو الجهل الفاضح ، والظلم بعينه والتجنى على كتب السنة تجنيا لا يرضاه ذو عقيدة صحيحة .

ومن الواضح أن قولهم :

« لا يحتج بما ورد فيها مطلقا » مراد به أنه لا يحتج بكل حديث منها ، لأنها تجمع بين الصحيح والحسن ، والضعيف ولهذا كان من الواجب البحث عن درجة أحاديث المسند ، والتأكد من صلاحيتها للاحتجاج .

ومن المعلوم : أن معظم الأحاديث التى دونت فى مسند الامام أحمد مما يصح الاحتجاج بها ، لأنها اما : صحيحة أو حسنة . وفيه أحاديث كثيرة فى الصحيحين ، وغيرهما من كتب السنة المعروفة .

ومما يشهد لمسند الامام أحمد بالفضل ، وأنه اشتمل على كثير من أحاديث الصحيحين ، ما قاله الحافظ الفقيه محمد اليونينى ، حين سئل :

أأنت تحفظ الكتب الستة ؟

فقال : « أحفظها وما أحفظها ، فقيل له : كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد ، وما يفوت المسند من الكتب الستة الا قليل ، فأنا أحفظها بهذا الوجه » .

وان بعض الأحاديث غير الصحيحة ، وغير الحسنة ، التي وردت في المسند لا تؤثر على درجته ، ولا تنقص من قيمته الجليلة في نفوس الأئمة والعلماء .

وبهذا : يرد ما أثير حول « المسند » من دعاوى زائفة تدل على خبث نية أصحابها ، وسوء طويتهم .

وتتضح درجة المسند من الصحة ، وأنه مرجع وثيق لأصحاب الحديث ، كما قال الامام الحافظ الكبير ابو موسى المدينى :

« وهذا الكتاب — أى المسند — أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقى من حديث كثير ، ومسموعات وافرة فجعله اماما ومعتمدا ، وعند التنازع ملجأ ومستندا » أه .

ونلاحظ أن اعداء السنة الشريفة ، حين يثيرون الشبه ، ويحاولون تجريح السنة ، لا يفعلون ذلك بأسلوب مباشر ، ولكنه التخطيط الذى رسموه لأنفسهم ، ولاشباعهم وأذنانهم ..

انهم يقومون : بتجريح السنة عن طريق تصوير الأحاديث تصويرا غير مراد .. ومحاولة افهام البعض من غير المستوعبين لعلوم السنة الذى يرمون اليه .

وأما الميدان الآخر الذى حاولوا أن يشككوا فى السنة من طريقه : فهو ميدان الكتب الكبيرة ، والمدونات التى لها وزنها وثقلها ، مثل : كتاب « صحيح البخارى » وكتاب « صحيح مسلم » .
ومن ذلك : « كتاب المسند » وهو كتاب ضخمة وعظيم ، لم يسبقه كتاب فى حجمه وضخامته وكثرة أحاديثه .

وأظهر الكتب المدونة قبله : هو كتاب « الموطأ » للإمام الجليل مالك رضى الله عنه . . الا أن أحاديث الموطأ لا تبلغ ما بلغته أحاديث المسند ، من حيث الكثرة والعدد فقد اشتمل « المسند » على أربعين ألف حديث بالمرر ، ومن غير المكرر : على ثلاثين ألف حديث .

وكان الذى حدا بللامام أحمد رضى الله عنه الى اتباع هذا المنهج فى التدوين ، وهذه الكثرة من الأحاديث هو :
أن يصل الى أهل كل اقليم ما لم يصل اليهم من الأحاديث ، فقد رأى أن بعض الأحاديث فى الكوفة لا يصل اليها أهل بغداد وبعضها فى مكة لا يصل اليها أهل دمشق ، وأحاديث فى دمشق لا يصل اليها أهل اليمن . .

وهكذا : كان فى كل بلد محدثون ، فكيف يحصل على ما جمع هؤلاء وهؤلاء ؟

من أجل هذا رأى أنه لابد من الرحلة لجمع الأحاديث المتفرقة فى البلاد النائية . .

فبدأ بما سمعه ببغداد ، ثم اتجه الى الكوفة فالبصرة ، ثم مكة فالمدينة فاليمن . .

وكان فى هذه البلاد يحرص على لقاء أهل الحديث ، ويجمع كل ما صح عنده .

وبهذا خطأ خطوة جديدة فى جمع الحديث ، وهى : الرحلة ، فكانت سنة لمن جاء بعده ... وقد توسع فيها البخارى .

وكذلك أيضا — مما دعا الامام أحمد الى تدوين المسند — ما رآه فى عصره ، من كثرة المحاولات المعادية من أصحاب الملل الأخرى وأعداء الدين ، حتى عجز تيار الموضوعات بصورة أفزعت هذا الامام الجليل . مما جعله يتصدى للقيام بهذا العمل الضخم والمجهود الكبير ليقدم ما صح فى رأيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا : هو كتاب « المسند » للإمام أحمد بن حنبل .. ومن هنا ندرك لماذا اتجه المستشرقون وأعداء الاسلام وأذئابهم اليوم لمحاربته ، لأنه يعتبر من أمهات كتب الحديث ، ويعتبر أضخم كتاب للسنة .

● وخطة أعداء السنة هى :

أما التشكيك فى المعنى ، وتصوير الحديث بأنه لا يتمشى مع العقل ، وأما التشكيك فى أكبر كتب السنة الشريفة . وأما التشكيك فى أكبر رواة الحديث من الصحابة الأجلاء رضوان الله تعالى عليهم مثل « أبى هريرة » .

ونناشد كل مسلم غيور ، وكل شاب من شباب الاسلام ألا ينظر فيما كتب هؤلاء الا وهو مسلح بعقيدة قوية وثقافة دينية

سليمة . وإن يطلب الحديث ، ومعنى الحديث من أهله وعلمائه المتخصصين فيه ، العارفين به ، ومن كتب السنة الصحيحة .
كما نناشد المسلمين ، فى شتى بلاد العالم ، ألا يسمحوا للأقلام المسمومة*، أو الأفكار الهدامة أن تتسرب الى محيط بلادهم .
وأن يعتصموا بحبل الله ، وأن يتمسكوا بشريعتهم ، كما قال الله تعالى :

ج (١)
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

وأن يتمسكوا بالسنة الشريفة ، فمن تمسك بكتاب ربه ، وسنة نبيه لا يضل أبداً ، كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (تركت فيكم ما أن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي) .

ولقد قيض الله تعالى لكتاب « المسند » للإمام أحمد بن حنبل من حققوه ، وخرجوا أحاديثه ، وبينوا درجة كل حديث وفهرسوه وبوبوه .

ومن هؤلاء : المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وسماه :
« الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى »
والمرحوم الشيخ أحمد شاكر ، وقد قام الشيخ شاكر رحمه الله بعمل فهارس علمية ولفظية ، تعين الباحث ..

وقام باتمام باقى الأجزاء وإكمالها فضيلة الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم — رحمه الله — وفق الله جميع المشتغلين بالحديث والعاملين فى حقل الاسلام والدعوة (٢) .

(١) سورة آل عمران ١٠٣

(٢) وأقوم الآن بإكمال تحقيق هذا الكتاب وقد أتممت منه حتى الآن الجزء الثانى والعشرين ، وأدعو الله تعالى أن يوفقنى الى إتمامه .

أثر رواية الحديث في رواية العلوم الأخرى

تميزت الرواية في الاسلام — بصفة عامة ، وفي الحديث النبوى بصفة خاصة — بدقة التحرى ، وشدة التحيص .

فقد شدد العلماء فيها ، وقعدوا لها القواعد ، وصاغوا لها الشروط وأصلوا لها الأصول بعناية فائقة ، تعتبر أدق ما وصل اليه النقد في القديم والحديث .

وكان من مميزات الرواية في الاسلام ، ومن خصائصها الهامة :
(الاسناد الصحيح المتصل برواية العدول الضابطين) .

وظل العلماء على مر أدوار الحياة يتحرون الدقة ، ويعنون بالثبوت من الأخبار ، ونقدها سندا ومتنا . وراوا أن الاسناد من الدين . قال عبد الله بن المبارك رحمه الله :

« الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء(١) » .

ويقول محمد بن حاتم المظفر :

« ان الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالاسناد ، وليس

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ .

لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم اسناد ، وانما هي صحف في أيديهم ، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم ، وليس عندهم تمييز بين ما الحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات » .

وهذه الأمة تتلقى الحديث من الثقة المعروف بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة ، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر ، حتى يهذبوه من الغلط (١) » .

ومما سبق : يتضح أن الاسناد من خصائص هذه الأمة وقد رغب كثير من الأئمة الحفاظ في الرحلة الى الأقطار الإسلامية ، طلبا لعلو الاسناد .

قال الامام أحمد بن حنبل « الاسناد العالي سنة عن سلف (٢) » وللرواية في الاسلام مكانتها ومنزلتها ، وأثرها الهام في العلوم الأخرى .

فلقد تأثر كثير من العلماء في كثير من علوم اللغة والأدب والتاريخ والسير بعلماء الحديث ، ومناهجهم وأساليبهم . . . وقلدوا أئمة السنة في ذكر السند .

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي .
(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تحقيق الشيخ أحمد شاكر .

وسار كثير من علماء اللغة على نمط علماء الحديث في ترتيب كلمات اللغة ، وأطلقوا اصطلاحات يظهر فيها التأثير الكبير باصطلاحات الحديث كقولهم :

« جيد وأجود » وقولهم : « ضعيف ومنكر ومتروك » وذلك كما يصنع رجال الحديث في قولهم مثلا : « صحيح وحسن وضعيف » وقولهم : « فلان ضعيف أو منكر » وهكذا .

كما تأثروا بعلماء الحديث ، وعلوم الحديث في تجريح بعض الرواة وتعديلهم . وكان شأنهم في هذا كشأن علماء السنة فعدلوا مثلا الخليل بن أحمد ، وأبا عمرو بن العلاء ، وجرحوا قطربا وكانت لهم محاولات في تدوين الكلمات وكانت لهم طريقتان :

الطريقة الأولى :

دونوا فيها الكلمات حسبما اتفق دون ترتيب .

والطريقة الثانية :

وضعوا الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد . كما صنع المحدثون بالنسبة لمرحلة التدوين على المسانيد ، وعلى الأبواب .

ويظهر للناظر في كتب تراجم الأدب صيغة المحدثين واضحة ككتاب : الأغاني ، فاننا نراه يسير على غرار اسناد المحدثين كقوله مثلا :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة
قال : بلغني أن هذا البيت في التوراة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكانت المؤلفات في تراجم الشعراء ، وطبقاتهم على نمط
طبقات المحدثين ، كما صنع ابن سلام ، حيث وضع طبقات
الشعراء وابن قتيبة ، كل ذلك على نمط المحدثين .

ولكن الرواية في العلوم الأخرى لم تبلغ شأواً ما بلغته رواية
الحديث ، ولم تلق من العناية ما لقيته لدى المحدثين من دقة النقد،
وتمحيص الروايات ، ولم يتمسك رواة العلوم الأخرى بالاسناد
طويلاً كما تمسك به المحدثون .

● وبعد تدوين السنة النبوية ، وازدهارها في القرن الثالث
الهجري ، وبعد ظهور مناهج المحدثين واصطلاحاتهم . . بعد ذلك
بكثير ظهرت فكرة **حديثية** في « أوربا » تهدف إلى **تحديد منهج جديد
للتاريخ** . ظهر ذلك بعد تصنيف كتب صحاح الحديث بحوالى عشرة
قرون . وعندما برز هذا المنهج إلى حيز الوجود قوبل بالتقدير
البالغ وتناقله الشرقيون على أنه جديد . ولكنه في الحقيقة مأخوذ —
من حيث الجملة — ، من منهج المحدثين ، ومتأثر به .

مع هذا : فلم يصل **المنهج التاريخي** إلى ما وصل إليه
منهج المحدثين الثقات الأخيار ، الذين جمعوا بين العلم والعمل .
ودفعهم اخلاصهم لعقيدتهم ، وحبهم لرسولهم صلوات الله وسلامه

عليه ، الى ان ينقلوا سنته الشريفة بحرص بالغ ، ودقة فائقة ،
فاودعوها سويداء قلوبهم ، ونقشوها على صفحات صدورهم
الأمينة ، متتبعين في التحمل والاداء أقصى ما في الوسع الانساني ،
ومترسمين أدق الطرق وأقواها حتى تم تدوين السنة نقية مشرقة .

وكيف لا : وصاحب السنة هو رسولهم الذي لا ينطق عن
الهوى ، ان هو الا وحى يوحى .

يقول الدكتور محمود قاسم عن المنهج الأوربي :

لم يتتبع القدماء الأوربيون منهجا سليما في دراسة التاريخ ، فكانوا
يخلطون بينه وبين فن القصص ، وكانوا يجمعون الوثائق والروايات
كيفما اتفق ، ثم يصهرونها ويصبونها في قالب أدبي جذاب . ولكن
علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة ، وبتمحيص طرقهم في
النقل . ولا سيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة
والسلام (١) . ه .

واذا كان أصحاب المنهج الحديث يرون وجوب الحذر في
استخدام الوثيقة التي لديهم ، كالحذر من استخدام أول نسخة
تقع لديهم ، أو الاعتماد على أقدم النسخ ، أو الميل الى اتخاذ حكم
الأغلبية ، فانه بفحص هذه الطريقة لا يوجد لها اتصال وثيق الى
صاحبها الأول وكاتبها .. فانهم لا يتتبعون طرق وصولها الى
أيديهم .

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور : محمود قاسم والبخارى محدثا
يفتيها للدكتور الحسينى هاشم .

فأين هذا من منهج المحدثين ، الذين تقوم الرواية فيه على نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال .
ومما لا شك فيه : أن الاسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الإسلامية .

وأما هذا الذى وجهوه الى نقد الوثائق من حيث الحذر فى استخدامها .. الخ : فقد تأثروا فيه ببعض طرق المحدثين .. ولكنهم لم يصلوا الى ما وصل اليه المحدثون حيث وضعوا للحقيقة والمحافظة على الحديث أدق ما وصل اليه النقد قديما وحديثا . ووضعوا قرائن تدل على الوضع ، منها :

اقرار واضعه .. وركاكة اللفظ .. وفساد المعنى .. ومناقضة الخبر للكتاب الكريم والسنة الصحيحة .. ومخالفته للحقائق التاريخية المشهورة .. ومخالفته للعقل الاسلامى السليم .. وغير ذلك من الأمور .

كما قام رجال السنة بحصر الاخبار الموضوعة ، وحكموا على بعض الأحاديث بالشذوذ والنفكارة والاضطراب والوضع والاختلاف . ويعتمد أصحاب المنهج الحديث على الحفريات والأوراق المتناثرة ، التى قد تكون منذ آلاف السنين ، ولا يعترف بها رجال الحديث .

وأين هذه الأمور مما اشترطه المحدثون من طرق التحمل والاداء ، ولو أن أصحاب هذا المنهج التاريخى اشترطوا شروطا

كشروط المحدثين ، أو صاغوا مناهج كمناهجهم ، ما كان ليصلهم شيء من تاريخهم ولا ثبت عندهم الا القليل .

وانى لهم ذلك ؟ والمحدثون فى دقتهم وتحريهم ، قد وصلوا الى درجة عالية .

فهاهو الامام البخارى يقول : « كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة ، وليس عندى حديث لا اذكر اسناده (١) » .

وقال ايضا رحمه الله :

« لم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء ، كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه ، وحمل الحديث ان كان الرجل فهما ، فان لم يكن سألته ان يخرج الى أصله ونسخته » .

ولم يكن من بين أهل الحديث من يحابى — فى الحديث — أباه ولا أخاه ولا ولده — كشأن غيرهم — وهذا على بن المدينى شيخ البخارى لا يروى عنه حرف واحد فى تقوية أبيه بل يروى عنه ضد ذلك (٢) .

هذا بالاضافة الى ان المحدثين ، يقدمون الحديث متنا وسندا ، بكامل روايته ، فيبحث عنه من شاء الاستيثاق به ، فيراه مثلا موصولا فى موضع آخر ، وعند رواية آخرين ثقات ، وهكذا .

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩ مطبعة السعادة .
(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص ٨٠ .

أما أصحاب المنهج التاريخي الحديث ، فيطبقون منهجهم فيما بينهم ، ولا يوقفون القارىء على خطوات بحثهم .

فعلى التابعين للفكر الغربى وللمستشرقين أن ينظروا الى ما يقولونه فى منهجهم ، وما يتعصبون به .

• فكيف بالنص النبوى الشريف ، الذى توفرت فيه شروط الصحة ، وتوفر لأصحابه أسمى صفات الصدق والثقة ، حتى دونت السنة النبوية على أدق المناهج والمقاييس العلمية ؟

أو ليس أولى بكتب السنة اذا الاعتراف بها ، والسير على هديها ، ومحاربة كل من يحاول النيل منها ؟ خاصة وأن روايتها قد جمعوا الشروط العالية : من الاسلام والعقل ، والصدق ، وعدم التدليس ، والضبط ، والعدالة . . فيكون الراوى مسلما بالفا عاقلا ، خاليا من أسباب الفسق وخوارم المروءة . والا يكون سفيها به حمق وعدم اتزان ، والا يكون ممن لا يزن الأمور بدقة ، والا يكون صاحب بدعة .

لقد كان لمنهج المحدثين أثره العظيم ، وقوته فى مجال النقد العلمى ، وكان لرواية الحديث أثرها فى رواية العلوم الأخرى .

وقد أدرك السلف ذلك ، فعرفوا للسنة مكانتها وأهميتها وحرمتها فى نفوسهم . فقاموا عليها بالحفظ والعناية والضبط والصيانة ، وبالتطبيق العملى لما جاءت به من مبادئ ومثل ، فعاشوا السنة قولاً وعملاً وسلوكاً وأخلاقاً ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

ونحن لا نستهدف من وراء هذه الدراسة : الا تجلية الموقف أمام القراء ، حتى يتعرف كل قارئ أو باحث على ما كان لعلماء السنة من جهود علمية مخلصة ، ومناهج غاية في الدقة . . حتى وصلت السنة الشريفة الينا بأدق طرق الرواية والتدوين ، مما لا يدع مجالاً للمشككين أو أعداء الاسلام ، الذين مازالوا حتى يومنا هذا ، ينكرون الكثير من السنة الصحيحة ، ويحكمون عقولهم البشرية القاصرة القابلة للخطأ والصواب ، المتضاربة في أحكامها .

كما أردنا كذلك : أن نخلص من هذه الدراسة بما كان للحديث الشريف وعلومه من أثر في الثقافة الاسلامية الأصيلة وسائر العلوم الاخرى .

لا توهين ما قام به المخلصون من العلماء في كل فن وعلم من جهود تذكر فتشكر .

ولكنها الدعوة المخلصة والامينة ، الى أن نصون خير تراث على ظهر الأرض وأعظم ميراث ، هو ميراث النبوة .
وقد شرفنا الله سبحانه وتعالى ، بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس لندعو للحق على هدى وبصيرة ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، كما قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)

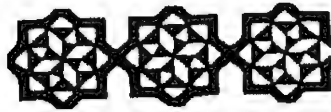
(١) سورة آل عمران (١١٠) .

وما أحوج البشرية اليوم في شتى أقطارها : الى العمل بكتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومضاعفة الدراسة
والبحث ، فيما يتصل بهذين الأصلين الكريمين . . والافتداء بصاحب
السنة المطهرة عليه افضل الصلاة والسلام . كما وجهنا القرآن
الكريم لذلك ، في قول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾ (١)

وان في دراسة الكتاب والسنة ، وما كان عليه السلف من
فهم وسلوك ، وعمل وتطبيق ، الخير كل الخير ، لصالح العالم
الاسلامى ، وتوحيد كلمته ، ونشر دعوته ، حتى يتبوا المسلمون
في كل بقعة على ظهر الارض المكانة المرموقة وحتى يستعيدوا
أمجادهم التالدة ، وتراثهم العريق الذى ما عرفت الحياة له مثيلا .



(١) سورة الاحزاب (٢١)

الفصل الرابع
الوضع في السنة ومقاومة العلماء له
الوضع في الحديث.. ومقاومته

● الوضع في السنة ومقاومة العلماء له

● الوضع في الحديث ومقاومته

لم يشع الكذب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وما كان بينهم من خلاف فقهي ، فلا يتعدى اختلاف وجهة النظر في أمور الدين .

أخرج البيهقي أن أنسا حدث بحديث ، فقال له رجل : « أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم أو حدثني من لم يكذب ، والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب » .

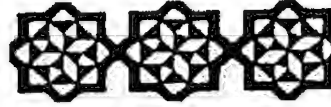
وكان الكذب في عهد كبار التابعين أقل منه في عهد صفارهم ، لوجود الصحابة وكبار التابعين ، ولما كانوا عليه من الورع والتدين ، ولأن الخلاف السياسي كان في أول عهدهم بسيطا . . كل ذلك كان سببا في تضيق بواعث الوضع والحد من الكذب .

ولما كان الشيعة هم أول من تجرأ على ذلك فيمكننا الحكم : بأن أول بيئة نشأ الوضع فيها هي : العراق وكان الإمام مالك رضي الله عنه يسمى العراق « دار الضرب » أي تضرب فيها الأحاديث ، كما تضرب الدراهم .

ويقول : نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أهل الكتاب ،
لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقال له عبد الرحمن بن مهدي : يا أبا
عبد الله ، سمعنا في بلدكم — المدينة — أربعمائة حديث في أربعين
يوماً ، ونحن بالعراق ، نسمع هذا كله في يوم واحد .

فقال له : يا عبد الرحمن ، من أين لنا دار الضرب التي عندكم؟
تضربون بالليل ، وتنفقون بالنهار .

وقال ابن شهاب : يخرج الحديث من عندنا شبراً ، فيعود في
العراق ذراعاً ، وذلك لبعد العراق عن الحجاز ، ولوجود اخلاط
المسلمين ، من مختلف الأمم ، وظهور المذاهب المختلفة في العراق :
من معتزلة ، ومرجئة ، وأصناف من المتكلمين .. وكل صنف من
هؤلاء ، يؤيد رأيه بتأويل آيات القرآن واختلاق الحديث .



اسباب الوضع في الحديث

١ - التعصب السياسى :

كان للأحداث السياسية أثرها في انقسام المسلمين شيعة واحزابا ، وسبب هذا الانقسام قيام المذاهب الدينية التى حاول أصحابها تأييد موقفهم بالقرآن والسنة .

فتاول بعضهم القرآن على غير وجهه السليم ، وحملوا السنة ما لا تتحملة .

وقد عجزوا عن الوضع فى القرآن ، لأنه ثبت بالتواتر المفيد لليقين والقطع ، ولتوفر المسلمين على حفظه وتلاوته ، فمقد تكفل الله تعالى بحفظه .

فوجهوا عداوتهم الى الوضع فى الحديث ، لتأييد ما يدعون ، فخلطوا الصحيح بغيره ووضعوا أحاديث فى فضائل أئمتهم ورؤساء أحزابهم .

وبهذا الوضع انغمست الفرق السياسية فى حماة الكذب والوضع .. وكانت الراجزة أكثر الفرق كذبا .

يقول ابن تيمية : « وكذب الرافضة مما يضرب به المثل »
وسئل مالك عن الرافضة ؟ فقال :

« لا تكلمهم ، ولا ترو عنهم ، فانهم يكذبون (١) » .

وقال حماد بن مسلم : حدثني شيخ لهم قال : « كنا اذا اجتمعنا
فاستحسننا شيئا جعلناه حديثا (٢) » .

وقد أسرف الرافضة في وضع الأحاديث في فضائل علي وآل
بيته ، بجرأة بالغة ، وذلك : لأن أكثرهم من الفرس الذين تستروا
بالتشيع لينقضوا عرى الاسلام .

وأما الشيعة : فقد كثر الوضع منهم ، وصنعوا بعض الأخبار
التي تنال من أبي بكر الصديق ، وعمر ، زاعمين أنها أساء إلى
« علي » . ومن الأخبار التي وضعوها : « وحي وموضع سري
وخليفتي في أهلي وخير من أخلف بعدي علي (٣) » .

وحين وجد أهل الأحزاب الأخرى أن ما وضعه الشيعة ينقص
من أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، هب بعض الوضاعين من
أحزابهم بوضع ما يقابل هذا من أحاديث ترفع من شأنهم ، من ذلك .

« ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا
الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق وعثمان
ذو النورين » .

(١) منهاج السنة ج ١ ص ١٣ .
(٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٣ .
(٣) اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ١٨٥ .

كما وضع المتعصبون لمعاوية والأمويين أخبارا كثيرة كما فعل
الذين أيدوا العباسيين .

ولما رأى بعض الذين حسنت نياتهم ، من طعن وتجريح في حق
الصحابه ، دفعهم حبهم للصحابه ، أن يضعوا أحاديث في فضلهم ،
ليبينوا بها أنهم جميعا خيار ، ولا فرق بينهم وظنوا أنهم بهذا العمل
يقدمون خيرا . . وفاتهم أنهم قد ارتكبوا منكرا ، بكذبهم على الرسول
صلى الله عليه وسلم .

وكان الشيعة منهم : المعتدلون ، الذين يرون أفضلية على
وأوليته بالخلافة ، وهم مسلمون مخلصون . . ومنهم : الغلاة ،
الذين تظاهروا بالمحبة لآل البيت وهم يعيدون عم الاسلام .

وكان هدفهم أن يدخلوا ما معهم من مبادئ اليهودية والنصرانية ،
والزرادشتية في الاسلام ، ليشوهوا معالمه وعقيدته .

وكان من هؤلاء طائفة تعتقد أن جبريل أخطأ في النزول
بالرسالة على محمد ، وهى لعلى .

وطائفة تقول بالوهمية على ، وهم اصحاب عبد الله بن
سبأ . ولقد أعلن على براءته منهم . . وأطلق المؤرخون على
هؤلاء اسم « غلاة الشيعة » .

ولما كانت آراؤهم الهدامة لا مجال لها في النفوس ، البسوها
ثيابا مصطنعة ، وتقنعوا بالدين . . فلجأ أهل الزيغ منهم — تأييدا
لآرائهم الزائفة — الى الوضع في السنة فأساءوا الى الحديث
النبوى ، والى الاسلام عامة .

٢ - التعصب العنصرى :

ومن أسباب الوضع أيضا : التعصب العنصرى ، وقد ظهر عندما ظهرت - قديما - على السنة بعض العامة فكرة تفضيل العجم على العرب ، وهى التى تعرف بالشعوبية ، وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة أن الخلفاء العباسيين لم يتعصبوا للعربية فانتهاز الشعوبيون الفرصة فى محاربة العرب ، ووضعوا أحاديث فى فضل الفرس وبلدانهم وعلمائهم ، والخط من قيمة العرب ، ومن ذلك ما وضعوه فى فضل أبى حنيفة النعمان لأنه من أصل فارسى ، وذب الشافعى لأنه عربى .

وقد بلغ بهم التعصب مبلغا كبيرا ، أدى بهم الى الالحاد فى الدين ، والتحلل من أحكامه .

وأما أحاديثهم الموضوعة : فلم تكن بخافية على العلماء وأئمة الحديث الذين تتبعوها ، وكشفوا زيفها وميزوا بين الصحيح وغيره .

٣ - الزندقة :

تطلق الزندقة : على أتباع دين المجوس مع التظاهر بالاسلام ، وقد اتسع اطلاق الزندقة ، فصارت تطلق على الملحدين الذين لا دين لهم ، كما أطلقت أيضا على الإباحيين الذين يتبجحون بالقول فيما يمس الدين .

وكان الطريق الذى سلكه الزنادقة لانتشار الزندقة ، هو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاثارة الشبهة والطعون رغبة منهم فى تنفير الناس منه والتحلل من أحكامه حتى تضعف قوة المسلمين ، فيتمكن هؤلاء من فرض سلطانهم .

وقد نشروا كثيرا من المذاهب الضالة ، وتقنعوا بأثواب نحل مختلفة ، يستهدفون استدراج الناس ، واجتذابهم من دينهم ، كما شقوا طريق الوضع فى الحديث ، متسترين بأسماء مختلفة ، فوضعوا أحاديث فى العقائد ، وأخرى فى الأخلاق ، وغيرها فى الحلال والحرام .

وقد تعقب الخلفاء العباسيون الزنادقة ، فشنقوهم وقاوموا تلك الحركة الخبيثة ، كما لم يخف على رجال الحديث فسادهم فشمروا الجهابذة والنقاد عن ساعد الجد وتتبعوا هؤلاء الكذابين والوضاعين ، وهكذا : كانت يقظة الأمة الإسلامية فى حرصها على حراسة الدين ، وحمايته من كل دخیل .

٤ — القصاصون :

وجد كثير من ادعياء العلم والمرترقة الذين لا يهمهم الا التفاف العامة حولهم ، فيثيرون مشاعر الناس وعواطفهم بالقصاص ، ويستدرون ما عندهم ، فوضعوا الأحاديث فى قصصهم رغبة منهم فى استمالة قلوب العامة اليهم ، وأكثر هؤلاء القصاص من الجهال،

الذين تشبهوا بأهل العلم ، فأفسسوا كثيرا من عقول العامة بما كانوا ينشرونه بين الناس حين يقومون بمهمة الوعظ وليس يهمهم الا أن يستندروا المال ، وبكاء العيون ، واعجاب الناس بهم ، وفي سبيل ذلك وضعوا الاكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هـ - الخلافات الفقهية والكلامية :

اتجه أصحاب المذاهب الفقهية ، والكلامية الى تأييد مذاهبهم بأحاديث مكذوبة ، وضعوها تأييدا لهم ، ومن ذلك . ما روى انه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : ان قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه ، فقال : حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعا : « من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له (١) » وحديث : « كل ما فى السموات والأرض وما بينهم فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك انه كلامه منه بدأ ، واليه يعود ، وسيجىء اقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق ، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلقت امرأته من ساعتها ، لانه لا ينبغى لمؤمنة ان تكون تحت كافر الا أن تكون قد سبقته بالقول (٢) » .

ويظهر فى هذا القول : ركافة اللفظ ، كما يكشف اتجاه مرماه عن الوضع فى وضوح .

(١) تدريب الراوى ص ١٨ والباعث الحديث .

(٢) اللالىء المصنوعة ج ١ ص ٣ .

٦ — الجهل بالدين مع الرغبة في الخير :

قام بعض الجهلة بالدين — الذين كانوا على جانب من الصلاح والورع والزهد — بوضع أحاديث في الترغيب والترهيب ، حينما ساءهم وجود بعض الناس المتكالبين على الدنيا ، والذين تركوا آخرتهم ، فوضعوا بعض الأحاديث التي ترغبهم في الآخرة ، وتخوفهم من عذاب الله . ومن هؤلاء غلام خليل ، وهو : أحمد ابن محمد بن غالب الباهلي ، كان معروفاً بالزهد ، وتوفى في رجب سنة ٣٧٥هـ (١) قال عبد الله النهاوندي : ما هذه الرقائق التي تحدث بها ؟ قال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة .

وهؤلاء هم أشد الوضاعين ضرراً ، وأقبح خطراً ، لأن أحاديثهم المختلفة كانت تجد قبولا عند بعض الناس ، لما كانوا عليه من الزهد والصلاح ، ولهذا : قال يحيى القطان : « ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخبر » .

كما رأى البعض منهم : انشغال الناس بالفقه ، فخاف أن يعرضوا عن القرآن ، فوضع أحاديث في فضائل سور القرآن وقد قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ، ومغازي ابن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة .

وروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن مهدي قال : قلت لميسرة

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٧ .

ابن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟ .
قال : وضعتها أرغب الناس فيها (١) .
وكان هؤلاء الوضاعون اذا قيل لهم في ذلك قالوا : نحن
ما كذبنا عليه أى على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما كذبنا
له . وهذا من تمام جهلهم الفاضح ، وفجورهم وافترائهم فانه
عليه السلام لا يحتاج في كمال شريعته الى غيره (٢) .

مقاومة الوضع

قيض الله سبحانه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم رجالا
أمناء ، صدقوا في اخلاصهم لله ولرسوله ، ونصبوا انفسهم للذب
عن السنة الشريفة ، فأفنوا أعمارهم في التمييز بين الصحيح
والباطل صيانة للسنة النبوية الشريفة ، وحفاظا على الاسلام
من الدس والتحريف .

وفى سبيل تنقيح السنة وتنقيتها من الوضع : بذل علماء
الامة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم جهودا مخصصة فوضعوا
قواعد الجرح والتعديل ، وكان من ثمره أعمالهم : (علم مصطلح
الحديث) ، وهو : يشتمل على أدق الطرق العلمية في التحقيق
التاريخي ، وأقومها في التمهيص والنقد ، وكانت القواعد التي
اتبعوها في جهودهم تتسم بالآتى :

-
- (١) تدريب الراوى ص ١٨٤ .
(٢) الباعث الحثيث ص ٧٩ .

التزام اسناد الحديث

ظل الصحابة والتابعون بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى منعمين في جو من الصدق ، آمين على تراث نبيهم ، حيث كانت صدورهم الأمانة تفيض بالثقة والاخلاص، وقلوبهم الواعية تنبض بالايمان والصدق ، فكان البعض يسند الحديث مرة ولا يسنده أخرى ، الى أن حدثت الفتنة ، وظهرت الأحزاب والفرق ، وأخذ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد شيئاً فشيئاً فانبرى الصحابة والتابعون يمحسون الأحاديث سنداً ومتناً ويشددون في معرفة الرواة والطرق ، ويلتزمون الاسناد دائماً .

وكان ابتداء مرحلة التحري والتزام الاسناد منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة(١) فمنذ ذلك الحين وهم يتشددون في التزام الاسناد دائماً ، عن ابن سيرين قال : (لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة ، فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم(٢) فقد كانوا يتسارعون الى أخذ الحديث وسماعه ، فلما وقعت الفتنة وركب الناس الصعب والذلول ، لم يأخذوا من الأحاديث الا ما يعرفون والتزموا التثبت والاسناد .

(١) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٠٧

(٢) مقدمة صحيح مسلم شرح النووي ص ٧١ ج ١ الشعب .

٢ - التثبت من الأحاديث :

كان من فضل الله وعنايته بالسنة النبوية أن بارك في أعمار عدد من الصحابة والفقهاء ، يرجع الناس اليهم ويلجأون لهم حين يقع الاختلاف ليستوثقوا من الأحاديث . وقد كثرت الرحلات العلمية لبعض الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من علماء الحديث من أجل التثبت . يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والأيام في طلب الحديث الواحد (١) » .

وفي سبيل التثبت : كانوا يتذكرون الأحاديث فيما بينهم ، لمعرفة ما يأخذون منها ، وترك ما يتكرونها ، كما كانوا على جانب كبير من الوعى والحيلة ، بحيث يحفظون الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، خشية أن تختلط عليهم ، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصحيح وغيره بدقة فائقة ، وحيلة بالغة ، روى أبو بكر بن الأشرم : « أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء في زاوية ، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس ، فإذا أطلع عليه انسان كتبه ، فقال له أحمد بن حنبل : تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ، فلو قال لك قائل : انك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟ فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله ، اكتب هذه الصحيفة عن عبد الرازق عن معمر على الوجه ، فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة ، حتى لا يجيء بعده انسان فيجعل بدل أبان ثابتا ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن

(١) جامع بيان العلم ج ١ ص ٩٤ .

أنس بن مالك ، فأقول له : كذب ، إنما هي عن معمر عن أبان ، لا عن ثابت (١) .

ومن أجل التثبت كذلك : ناهض العلماء الكذابين ، ومنعواهم من التحديث ، واشتدوا عليهم ، لدرجة أنهم كانوا يضربونهم أحياناً ، ويهددونهم بالقتل أحياناً أخرى ، عن حمزة الزيات قال : « سمع مرة الهمداني من الحارث الأعور شيئاً ، فقال له : أقعد بالباب ، قال : فدخل مرة وأخذ سيفه ، قال : وأحس الحارث بالشر فذهب (٢) » .

٣ — نقد الرواة ودراسة حياتهم وتاريخهم وبيان أحوالهم من صدق أو كذب :

وقد وصلوا عن طريق هذه الدراسة الى تميز الصحيح من المكذوب ، وكانت لديهم قواعد اتبعوها وساروا عليها في الأخذ عن الرواة أو عدم الأخذ منهم فحسروا المتروكين الذين يكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب البدع والأهواء والزنادقة ، والذين لا يفهمون ما يحدثون ، ومن لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم .

وقد عين أئمة النقاد أياماً ليتكلموا في الرجال ، وكانوا يسألون عن الرواة لمعرفة أحوالهم ، والتمكن من صدقهم أو كذبهم ، فكانوا

(١) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٠٧ .

(٢) مسلم شرح النووي ج ١ ص ٩٩ .

ينقدونهم نقدا صحيحا دقيقا . عن يحيى بن سعيد قال : « سألت
سفيان الثوري وشعبة ومالكا وابن عيينه عن الرجل لا يكون ثبتا
في الحديث ، فيأتيني الرجل فيسألني عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه
ليس بثبت (١) » .

وكانوا في حكمهم لا يخافون في الحق لومة لائم ، ولا تأخذهم
عاطفة ، حتى ولو كان أخاه . يقول زيد بن أبي أنيسة : « لا تأخذوا
عن أخى (٢) » . ولم يحاب أحد من أهل الحديث أباه ولا أخاه ،
وهذا على بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ ، وهو امام الحديث في
عصره ، لا يروى عنه حرف في تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد
ذلك (٣) » .

وهكذا : أخلصوا عملهم لله ، وخدموا الشريعة السمحة
بدفع ما يشوبها ، وتخليص الغث من الثمين ، وبهذا تكون (علم
الجرح والتعديل) الذي وضع قواعده كبار الصحابة والتابعين
وأتباعهم .

وكان الضعفاء في القرن الثاني أكثر منهم في القرن الأول ،
وقد تناول الحديث في العدالة والتجريح كثير من الأئمة وبينوا من
تقبل روايته ومن لا تقبل روايته .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٩٢ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٢١ .
(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٨٥ مخطوط بدار الكتب
المصرية .

وتكامل علم الجرح والتعديل من العهد النبوى الى عهد
التدوين ، وافتتحت المصنفات الكبيرة فى الرواة ، وافتتحت كتب خاصة
بالضعفاء ، فصارت من السهل التمييز بين المحق والمبطل ، على
أساس من القواعد الدقيقة ، حتى اكتمل هذا العلم فى القرن
الثالث الهجرى على أيدي الأئمة الاعلام ، الذين أخذوا على عاتقهم
حفظ السنة الشريفة ، والذود عن حياضها فألفوا الكتب
الكثيرة فى الجرح والتعديل .



وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييز الصحيح من غيره

لم يكتف العلماء في التزام الاسناد والتثبت من الاحاديث بالرحلة ، ومراجعة الاحاديث ، ودراسة الاسانيد والطرق ، وانما ضموا مع هذا تقسيم الحديث الى درجات :

صحيح ، وحسن وضعيف ، وذلك لمعرفة القوى من الضعيف وما يقبل وما يرد ، ولم يعرف الحسن في القرن الثاني الهجري ، وانما عرف فيما بعد (١) . وكتاب أبى عيسى الترمذى أصل في معرفة الحسن قال ابن الصلاح : وان وجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله (أحمد والبخارى وغيرهما) .

وقد وضع العلماء قواعد يعرفون بها الحديث الموضوع وبينوا العلامات الدالة على وضعه ، منها : ما هو في السند ، ومنها ما هو في المتن . أما العلامات الدالة على الوضع في السند فأهمها :

١ — أن يكون راوى الحديث معروفا بالكذب ويتفرد برواية الحديث ولا يرويه ثقة غيره .

(١) تدريب الراوى للسيوطى .

٢ — اقرار واضح الحديث بوضعه ، كما أقر ميسرة بن عبد ربه الفارسي أنه وضع أحاديث في فضائل القرآن (١) .

٣ — ما يقوم مقام الاعتراف بالوضع بأن يكون هناك قرينة مانعة من صحة الحديث : كأن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقاؤه به ، أو ولد بعد وفاته ، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه ، وهذا يعرف عن طريق دراسة تاريخ مولد الرواة ، وإقامتهم ورحلاتهم ووفاتهم .

كما قسموا الرواة الى طبقات ، وعرفوا عنهم كل صغيرة وكبيرة ، وبهذا تكون (علم الطبقات) الذى لا يستغنى عنه رجال الحديث ونقاده .. يقول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » .

٤ — معرفة حال الراوى وبواعثه النفسية مثل : ما وقع من سعد بن ظريف حين جاء ابنه من الكتاب يبكى ، فقال : مالك ؟ قال : ضربنى المعلم ، قال : لأخزينهم اليوم ، جدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : « معلموا صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليтим ، وأغلظهم على المسكين » .

ولم تصل أمة من الأمم الى ما وصلت اليه الأمة الاسلامية فى التحقيق والضبط ، فقد عنى رجال الحديث بالسنة عناية لم يجد

(١) الباعث الحثيث ص ٨١ .

معها أهل الأهواء ثغرة ينفذون منها الى نقض قواعدهم العلمية ،
ولذا كان نقد بعض المستشرقين والمغرضين وأمثالهم يتجه الى المتن
زعماء منهم ان المتن لم يلق من رجال الحديث ما لقيه السند من
العناية .

علامات الوضع في المتن

بذل علماء السنة جهودا مشكورة ، وعناية فائقة بالمتن ،
ولئن كانت الجهود التي بذلت في العناية بالسند اكثر من المتن ،
فليس هذا تقصيرا منهم لحال المتن ، وانما يرجع ذلك الى كثرة
أحوال السند وتعدددها ، مما كان سببا فيما يتعلق به من علوم
وبحوث كثيرة ، على أنه قد قام علماء السنة ببحث ودراسة
الصفات التي يجب توافرها في صحة المتن ، وبيان العلامات الدالة
على وضعه وهذه أهمها :

● ركاقة المعنى واللفظ ، وتعرف بكثرة الممارسة لالفاظ
الحديث النبوى ، فتحصل هيئة نفسانية ، وملكة يعرف بها اللفظ
النبوى من غيره .

قال الحافظ ابن حجر : « المدار في الركة على ركة المعنى
فحيثما وجدت دلت على الوضع ، وان لم ينضم اليها ركاقة اللفظ ،
لان هذا الدين كله محاسن ، والركة ترجع الى الرداءة . أما ركاقة

اللفظ فقط فلا تدل على ذلك ، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغير
الفاظه بغير فصيح .

نعم ان صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فيكون
حينئذ كاذبا .

وقال الربيع بن خيثم : « ان الحديث ضوءا كضوء النهار
نعرفه ، وظلمة كظلمة الليل ننكره (١) » .

● فساد المعنى بأن يخالف الحديث بدهيات العقول أو
القواعد العامة في الأخلاق والآداب أو يخالف الحسن أو قواعد
الطب أو ما يوجب العقل من تنزيه الله سبحانه وتعالى :

أو يخالف قطعيات التاريخ ، أو سنة الله في الكون والانسان
أو يشتمل على سخافات يبعد عنها كل عاقل .

يقول ابن الجوزي : ما أحسن قول القائل : اذا رأيت الحديث
يبين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه
موضوع (٢) .

● مخالفته للقرآن الكريم أو السنة المتواترة أو الاجماع
القطعي ، أما المعارضة مع امكان الجمع فلا (٣) .

(١) الباعث الحثيث ص ٨٢ .

(٢) تدريب الراوى ص ١٨٠ .

(٣) الباعث الحثيث ص ٨٣ .

قال ابن القيم : ومن الأمور التي يعرف بها أن الحديث موضوع مخالفته صريح الكتاب ، كحديث مقدار مدة الدنيا وإنها سبعة آلاف سنة لمخالفته قوله تعالى :

(١) ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾

وقوله تعالى :
(٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾

ومن ذلك أيضا : مخالفته صريح السنة المسلم بها لشهرتها أو لتواترها مثل :

« اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به سواء حدثت به أو لم أحدث » فان هذا مخالف للحديث المتواتر :
« من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » .
ومثل :

« من قضى صلوات الفرائض في آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته في عمره الى سبعين سنة » .
فان هذا مخالف لما أجمع عليه من أن الفائتة لا يقوم مقامها شيء من العبادات (٣) .

● مخالفته للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها ومثاله :

-
- (١) سورة الاعراف (١٨٧) .
(٢) سورة لقمان (٣٤) .
(٣) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي والسباعي ص ١١٧ .

ما رواه الامام مسلم بسنده عن ابي وائل قال :
خرج علينا ابن مسعود بصفين فقال ابو نعيم : اتراه بعث
بعد الموت (١) ؟ ، لأن ابن مسعود توفي قبل صفين .

● صدور الحديث من راو تأييدا لمذهبه كالأحاديث الصادره
من اتباع المذاهب الفقهية والكلامية المغالين في تعصبهم مثل :

« من لا يرفع يديه في الصلاة فلا صلاة له » أو يروى رافض
حديثا ، في فضائل أهل البيت أو مرجىء حديثا في الأرجاء (٢) .

● أن يشتمل على افراط في الثواب العظيم على العمل الصغير
أو اشتماله على المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقيق كالأحاديث
التي وضعها القصاص في ثواب بعض الأعمال ، وجزاء بعض
الجرائم مثل « : من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب
سبعين نبيا » ومثل :

« من قال لا اله الا الله خلق الله له طائرا له سبعون ألف
لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له (٣) » .

● أن يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعي على
نقله لوقوعه بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه الا واحد ، بهذا :
حكم أهل السنة بالوضع على الحديث المتضمن النص على خلافة
على ووصايته ..

(١) صحيح مسلم شرح النووي ج ١ ص ١٠٠ ط الشعب .
(٢) السنة ومكانتها ص ١١٧ .
(٣) الموضوعات .

● ما يصرح بتكذيب جمع المتواتر (١) .

● وإضافة الى هذه الأسس الرصينة والقواعد المحكمة :
نقد العلماء المتن من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو اعلاله ، كما بحثوا
فيما فيه من قلب أو غلط أو ادراج ، الى غير ذلك من العلل التي عنى
العلماء ببيانها وشرحها : فيما وضع في ذلك من الكتب (٢) .

كما كان للذوق المؤمن مجاله في النقد ، فاذا استساغت الملكات
السليمة المؤمنة حديثا قبلوه ، واذا لم تستسغه ردوه وكان هذا
الذوق متفقا مع قوانين الرواية كذلك ، يقول الربيع بن خيثم :
« ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه به ، وان من
الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تعرفه به » (٣) ويقول ابن
الجوزي « الحديث المنكر يقتشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه
في الضال » .

وهكذا : وضع علماء الحديث القواعد الهامة التي عرفوا بها
الحديث الصحيح من الموضوع ، ووجهوا جهودهم الى نقد السند
والمتن على السواء .

هذا وقد بدأت حركة النقد منذ وقوع الفتنة ، وظلت حتى
كان عصر التدوين ، ودون العلماء الحديث دون تمييز بين الصحيح
وغيره ، وانما تركوا ذلك لأهل الخبرة من العلماء ، لهذا : تحرى

(١) المنهج الحديث في علم الحديث للأستاذ : محمد محمد السماحي ص ١٨٧ .

(٢) المؤتمر الثالث لجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م ص ٤٩

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٣٦ .

الامام : مالك رضى الله عنه فى كتاب (الموطأ) جمع الحديث المقبول ، حتى شهد له الكثيرون بالصحة والقبول ، وعندما كتب الامام الشافعى رضى الله عنه (كتاب الرسالة) تعرض لشيء من علوم الحديث ، كما كتب أيضا شيئا من ذلك فى كتاب (الأم) .

وقام العلماء كذلك بنقد الحديث — سندا ومنا — خلال تأليفهم ، كما فى كتاب الترمذى ، وبعضهم خصص مقدمة فى هذا العلم تتعلق بالكتاب الذى يؤلفه . كما صنع الامام مسلم فى مقدمة كتابه . او خاتمة توضح المصطلحات التى ارادوها : كما صنع الامام الترمذى فى آخر جامعه .

وعنى البعض بالرواية فألف البخارى فى الصحابة كتبه فى التواريخ الثلاثة : « الكبير والأوسط والصغير » ، وعنى فيها بنقد المرويات من حيث : السند والمتن ، وألف غيره فى تواريخ الرواية صحابة او غيرهم : كالامام محمد بن سعد كاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، ألف كتاب الطبقات . كما أن بعضهم ألف فى الثقات : كابى حاتم بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، ألف كتاب الطبقات ، كما أنه خصصت تأليف فى الضعفاء والعلل ، ككتاب الضعفاء للبخارى صاحب الصحيح .

وهكذا : رأى العلماء : أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة لأهل الحديث ، وقواعد كثيرة لهم ، يعرف بها المقبول والمردود ، ففكروا فى تخليصها من هذه الكتب ، وجمعها فى علم

خاص ، وتدوينها في كتاب مستقل . وكان ذلك في القرن الرابع وكان
أول من ألف فيه الرامهرمزي (١) .

ومن النتائج الجليلة القدر التي عادت على الاسلام والمسلمين
من هذه الجهود الضخمة الموفقة : أن تم تدوين السنة بعد أن
سار أشواطه المباركة وانتهى الأمر بالتدوين التام ، والتصنيف
الكامل ، في القرن الثالث الهجري ، الذي كان أسعد عصور السنة
الشريفة بظهور أئمة الحديث ، وقيامهم بتلك التأليف الخالدة ، وتمييز
الأحاديث الصحيحة من غيرها .



(١) المنهج الحديث الأستاذ محمد السباحي ص ٢٠ .

الفصل الخامس
الرّد على المطاع عن التي أُثِرَتْ حَدِيثًا

● الرد على المطاعن التي أُثِّرت حديثاً

أقد حفظ الله تعالى دينه بحفظ الأصليين الكريمين ، والمصدرين
الشريطين : الكتاب والسنة ، وتكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم
وحفظه فعلاً حيث قال سبحانه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)

كما حفظ المصدر الثانى للتشريع الإسلامى حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ (١٨)
ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانُهُ ۚ ﴾ (٢)

فقد تكفل سبحانه بحفظ بيان القرآن حيث تكفل بحفظ القرآن لأن
حفظ المبين يستلزم حفظ البيان ، ليظل القرآن واضحاً مفهوماً
يعمل به الناس الى يوم الدين ، وتكفل بأن جعل بيان القرآن على الله
تعالى : « ثم ان علينا بيانه » ولذا قيض الله للسنة النبوية رجالاً
أمناء صانوا السنة النبوية من تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتأويل الجاهلين .

(١) سورة الحجر آية ٩
(٢) سورة القيامة آية ١٧

وقد واجهت الاسلام تحديات متعددة ، وحملات ظالمة شنها المبطلون على القرآن أولا ، فباعوا بالخزى والخذلان لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه ، فحفظه الرجال الثقات والأئمة الأمناء الحفاظ في صدورهم الأمانة وفي صحفهم الواعية الضابطة ، فلما رأوا أنهم لا حيلة لهم في النيل من القرآن الكريم اتجهوا الى النيل من السنة فحاولوا الدس والتحريف فيها ، كما حاولوا الكذب والوضع وحاول بعضهم شرح الحديث بغير ما هو مراد منه محاولين اخضاع النص لهواهم .

فقيض الله تعالى للسنة النبوية من ميزوا صحيحها من سقيمها ، ومن حفظوها في صدورهم الأمانة ، وصحفهم الضابطة المتقنة ودونوها على أوجه متعددة منها ما دون على حسب الرواة ، ومنها ما دون تدوينا فقهيا ، ورتب ترتيبا موضوعيا وقاموا الى جانب تدوينها وترتيبها بشرحها شرحا ييسر المراد منها حتى لا ينحرف البعض في شرحها تأييدا لهواه .

وابتكروا علما بل علوما في اصول الحديث النبوى وقواعده وشروط الصحيح ومعرفة الثقة ، ومعرفة الضعفاء والمتروكين ، ووضعوا علامات للوضع منها ما هو في السند ومنها ما هو في متن الحديث ، بحيث لم يدعوا ثغرة ينفذ منها الوضاعون ومن يحاول الدس أو الكذب .

وبعد ان فشل أعداء الاسلام في النيل من القرآن ، ومن الحديث ولوا وجوههم نحو حملة الاسلام وشهود هذا الدين ،

ومن انتقل على أيديهم الاسلام وتراثه وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم العلماء جيلا بعد جيل ، لأن هؤلاء هم حملة الدين ، ونقله تراثه والدعاة اليه ورموزه فاذا ما تم التشكيك فيهم أصابوا الاسلام في مقتل ، لأنهم اذا نجحوا في التشكيك في حملة الاسلام نفسه . نجحوا في التشكيك في الاسلام نفسه .

ومن هنا كانت الحملات المسمورة ضد التاريخ الاسلامي والتراث القديم ، ومحاولة فصله عن المسلمين ، ومحاولة تزييف وقائمه والدس فيها والتحريف رغبة في فصل الأمة عن تراثها ، وهي حملة خبيثة وظالمة تستهدف قطع الأمة الاسلامية وأبعادها عن تاريخها وأمجادها ، فتصبح وكأنها أمة لا تاريخ لها ولا أمجاد لها مثل اللقيطة التي لا يعرف لها نسب .

ثم طغت على سطح الحياة تيارات أخرى ، تحاول فصل الدين عن الحياة ، وتبعده عن الدخول في مجالات الحياة وحضاراتها وعملها وسائر أنشطتها ، وتريد أن يقتصر الدين على المسجد فقط وهي التي تسمى « بالعلمانية » مع أن الاسلام دين ودنيا ، ايمان وعمل ، ولا يمكن أن يفصل عن الحياة بحال من الأحوال في كل عباداته ومعاملاته وسائر أحكامه وتوجيهاته .

ثم ان التحديات التي تريد تزييف تاريخ الأمة وفصلها عنه ، والنيل من القرآن ومن الحديث أخذت منها رأي أصحابه أنه أيسر للنيل من الاسلام ، وذلك عن طريق حملة الاسلام وشهوده وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فمن بعدهم جيلا بعد جيل حتى علماء عصرنا الحاضر . . وقد أخذ الهجوم على حملة الاسلام

شكلا عجيبا حيث قام اعداء هذا الدين بتجريح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ونفى عدالتهم والصاق تهم بهم هم منها براء .

وللرد على هذه الحملات الظالمة ، نثبت هنا أن الصحابة رضوان الله عليهم عدول كلهم على رأى جمهور المحدثين والفقهاء والأصوليين ، والمراد بعدالة العدل : أن يكون مسلما بالغا خاليا من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، فهم أبعد ما يكون عن التقول على الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقوة إيمانهم والتزام التقوى والمروءة والسمو عن سقاسف الأمور .

وعدالة الصحابة ثابتة بالقرآن والسنة :

أولا : لاخبار الله تعالى بأنهم خير الأمم وأوسط الأمم وأزكاها قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ^(١) ﴾

ومعنى الوسط : العدول . وقال سبحانه .

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ^(٢) ﴾

والخطاب فى هاتين الآيتين للأمة الإسلامية ويدخل الصحابة فى هذا الخطاب دخولا أوليا .

(١) البقرة (١٤٣) .

(٢) آل عمران (١١٠) .

وقال سبحانه :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١)

ومن رضى الله عنه لم يسخط عليه أبدا وقال تعالى :

○ ————— ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)

وهكذا نرى الى اى مدى وضع القرآن الكريم عدالة الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين واخلاصهم ، وسمو اخلاقهم .

ثانيا : وضحت السنة الصحيحة عدالة الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تقديرهم واعطائهم حقوقهم من الاحترام وعدم ايذائهم فقال
صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده
لو اتفق احدكم مثل احد ذهبا ما أدرك مد احدهم ولا نصيفه (٣) .
وعن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى من

(١) التوبة (١٠) .

(٢) الفتح (٢٩) .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد أذى الله فيوشك أن يأخذه(١) » .
وقال عليه الصلاة والسلام : « خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم(٢) » .

ثالثا : يقول الامام أبو زرعة الرازي اذا رايت الرجل ينتقص
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، وذلك
لأن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وانما أدى ذلك
الينا كله الصحابة وهؤلاء — يريد الزنادقة وأشباههم — يريدون
أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى
وهم زنادقة وهكذا يوقفنا القرآن الكريم والسنة الصحيحة وقول
سلفنا في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم على مكانتهم
ومنزلتهم في الاسلام وأن النيل منهم وتجريحهم بهتان وعدوان صارخ
على الاسلام نفسه لأنهم حملته وعن طريقهم انتقل الينا القرآن
والحديث والاسلام بعقيدته وعباداته ومعاملاته .

ومع وضوح ثبوت السنة الصحيحة ، فإن الحملات تتجدد
حديثا عليها ، متمثلة في تحديات لها جملة ، وفي تحديات أخرى
لبعض ما جاءت به .

وسأعرض هنا لبعض تلك التحديات التي نشرت في بعض
الصحف لطائفة برزت من جديد في هذه الأيام تنكر السنة جملة :
وتنكر بعض ما جاء فيها أحيانا .

وسأورد الرد عليهم فيما يلي :

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

أهم الشبهات التي أثارها
جماعة إنكار السنة
كما وردت في بعض الصحف

- * افكار السنة النبوية ، ويزعمون الاخذ بالقرآن وحده .
- * ادعاء أن الحديث مختلف فيه .
- * ادعاء اختلاف الأئمة .
- * انكار الايمان بالغيب .
- * الهجوم على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .
- * القول بخلود المسلم العاصي في النار .
- * انكار الأحاديث القدسية .
- * انكار الشفاعة .
- * دعوى الاختلاف في التشهد والقول بقراءة آية الكرسي بدله .
- * القول بأن عمر رضى الله عنه منع من كتابة الحديث .
- * القول بانكار المعراج ورؤية الله تعالى .

الرد على مفتريات المكذبين للسنة النبوية

ان الذى ظهرت به هذه الطائفة متبعة فى ضلالها واغتراءاتها من ضللها ، انما هى دعاوى قديمة دعا بها واثارها قبلهم أناس لا دين لهم ، ولا علم لهم ، وسموا أنفسهم « بالقرآنيين » لأنهم دعوا الى الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده .. وهؤلاء الذين ظهروا اليوم هم امتداد لأسلافهم من الجهلة وأذناب الاحاد وأبواق المستشرقين فان تكذيبهم للسنة النبوية هو فى نفسه تكذيب للقرآن الكريم ذاته ، لأن القرآن الكريم أمر ان نأخذ بالسنة وان نأخذ ما آتانا به الرسول صلى الله عليه وسلم وأن ننتهى عما نهانا عنه قال تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١)

وجعل القرآن الكريم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله فقال سبحانه :

(١) سورة الحشر آية ٧

○ ————— ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ^ط

وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ خَفِظًا ﴿٨٠﴾﴾ (١)

بل ان القرآن الذى يزعمون انهم يأخذون به وحده دون
سواه ، ولا يأخذون بالسنة ، قد نفى الايمان عن من لم يأخذ بالحديث
ويرفض طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فى قول الله
تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٨١﴾﴾ (٢)

فكل من يرفض السنة ويرفض الأخذ بها ويرفض طاعة صاحب
السنة صلى الله عليه وسلم خارج عن حظيرة الايمان « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

وهكذا يأمر القرآن بالأخذ بالحديث ، فكيف يقولون : انهم
يأخذون بالقرآن وحده وهم يخالفون القرآن نفسه مخالفة صريحة
واضحة ؟ !!

(١) سورة النساء (٨٠) .

(٢) سورة النساء (٦٥) .

● وأما ادعاؤهم أن الحديث مختلف فيه ؟
فان هذا مردود بما اضطلع به أئمة الحديث من عناية غائقة
بتنقية السنة من كل دخيل ، وعنايتهم بالسند وتنقيح الروايات
والمرويات والأخبار وأن الاسناد الصحيح المتصل من خصوصيات
هذه الأمة ، وأن أئمة الحديث ميزوا الصحيح من غيره ، ودونوه
في كتب معروفة معتمده .

● وأما اختلاف الأئمة :

فانه لا يشك أحد أن جميع الأئمة متفقون اتفاقا يقينيا على
وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن كل انسان
يؤخذ من رأيه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولكن — كما قال ابن تيمية :
إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد
له من عذر في تركه ، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف .
أحدها : عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله .
والثاني : عدم اعتقاده ارادة تلك المسألة بذلك القول .
والثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ (١) .
هذا وانكارهم للسنة النبوية وللغيب وقد نص عليه القرآن
الكريم أيضا .

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (٢)

(١) رفع الملام عن الأئمة الاعلام لابن تيمية ص ٤

(٢) سورة البقرة آية ٣ .

انكارهم لهذا وللسنة انكار لأمر معلومة من الدين بالضرورة،
ومن أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة كان مرتدا ان أصر على
رأيه ولم يتب ولم يرجع الى الله تعالى .

وأما مهاجمتهم للصحابه رضى الله عنهم ، فهذا تمرد منهم
على دين الله وعلى نقلة الدين وشهوده الذين شهدت بعدالتهم
آيات القرآن قال تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١)

والوسط : الخيار والعدول وقال تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْآخِرُونَ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٢)

وقال عليه الصلاة والسلام : « خير الناس قرنى ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه
ويمينه شهادته » رواه البخارى وجاء فى الصحيحين : « لا تسبوا
أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك
من أحدهم ولا نصيفه » وفيما رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان
فى صحيحه : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الله الله فى
أصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم
فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد أذى الله ومن
أذى الله فيوشك أن يأخذه » .

(١) سورة البقرة آية ١٤٣

(٢) سورة التوبة آية ١٠٠

الرد على شبهة خلود المسلم العاصي في النار

للرد على هذه الشبهة نذكر لهم قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^{ج (١)}

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»
رواه مسلم

ومذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لا يخلد في النار وان كان مصرا على الكبائر .

وهؤلاء الذين يقولون بخلود المسلم العاصي في النار انما يتبعون في ذلك ما قاله الخوارج وبعض المعتزلة الذين تعللوا بظاهر الآية الكريمة :

(١) سورة النساء آية ٤٨

﴿ مَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (١)

وبمثل قوله تعالى :

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١٨)

وهذه الآية وتلك انما هما في شأن الكفار وليس في شأن المسلمين ، وبنوا ذلك على انكارهم للشفاعة وهى ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة .

واذا كانوا يصدقون حقا بالقرآن ، فانه يقول :

○ ————— ﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣)
(٢)

ويقول سبحانه :

○ ————— ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤)
(٣)

(١) سورة المدثر آية ٤٨

(٢) سورة غافر آية ١٨

(٣) سورة الزمر آية ٥٣

(٤) سورة النساء آية ٤٨

شبهة إنكارهم للأحاديث القدسية

وأما إنكارهم للأحاديث القدسية فهو مبنى على إنكارهم للسنة النبوية لأن الأحاديث القدسية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى أى أنه عليه الصلاة والسلام أخذها عن ربه وبلغها لأمته ، ومعناها من عند الله تعالى ، فقد أضافها الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه ، ورواها عنه كما تروى الأحاديث وللعلماء فى الأحاديث القدسية آريان :

الأول : أنها من كلام الله تعالى وليس للنبي صلى الله عليه وسلم إلا حكايتها عن ربه ، والثانى : أنها من قوله صلى الله عليه وسلم ولفظه كالأحاديث النبوية ، والمعنى من عند الله بالهام أو بمنام ، وهذا الرأى الثانى هو الأرجح ، اذ لم ينزل باللفظ من قبل الله تعالى إلا القرآن الكريم لتمييزه عن بقية أنواع الوحي بأنه معجز من أوجه كثيرة منها اعجازه اللفظى والبيانى .

ومعنى الأحاديث القدسية مقطوع بأنه من عند الله تعالى ، لما ورد فيه من النص الشرعى على نسبته الى الله تعالى ، بقول

الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : كذا .. فلذا سمى
قدسيا .

وللأحاديث القدسية صحة نسبتها الى الله تعالى ورواية
الرسول صلى الله عليه وسلم لها وأسانيدها الى الرسول صلى الله
عليه وسلم وقد بحث العلماء صحة نسبة الصحيح منها وتمييزه عن
غيره من الضعيف بدراسة الأسانيد والمتون ، وحدث فيها ما حدث
من العناية بالحديث النبوى ، بل انها دونت مع الأحاديث النبوية
لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يرويها عن ربه والصحابة
يروونها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا .. فجهود
العلماء فى الحفاظ على الأحاديث القدسية هى جهودهم نفسها فى
الحفاظ على الأحاديث النبوية ودونت معها لأنها مروية عنه صلى
الله عليه وسلم وهو عليه الصلاة والسلام رواها عن ربه فحظيت
بعناية المحدثين والعلماء وجهودهم جيلا بعد جيل حتى جاءت فى
المدونات والكتب المعتمدة بأسانيدها التى لا يرقى اليها الشك
بحال من الأحوال .

وانكارها ضرب من العبث ، وانكار لما صح وثبت بأدق طرق
النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا .



شبهة إنكار الشفاعة للمرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليها

ان الذين أنكروا السنة يزعمون أيضا انكار الشفاعة وانها
ثابتة لله وحده فقط .

الاجابة

قال الله تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه (١) » ، أى
لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد الا اذا أذن له الله ، وهذا بيان لعظمة
الله تعالى بحيث لا يتجاسر أحد على الشفاعة الا باذن الله تعالى .
وقال الله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي .

شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ (٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٢) سورة النجم آية ٢٦

وقال سبحانه :

﴿ وَلَا يَسْتَفْعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَتْهُمْ ﴾^(١)

وان الملائكة الأبرار مع علو منزلتهم ورفعة شئانهم لا تنفع شفاعتهم أحدا الا باذن الله تعالى في الشفاعة لمن يشاء من اهل الايمان والتوحيد وفرق كبير جدا بين أن تكون الشفاعة باذن الله تعالى وبين زعمهم انها لا تكون الا لله وحده وليس لأحد شفاعة.

ومذهب اهل السنة : جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ

(٢)

الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۝﴾

وقد بلغت الآثار التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة للمذنبى المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من اهل السنة عليها . وهؤلاء المنكرون للسنة الذين قالوا بتلك الشبهات انما ينحون منحى الخوارج ويعض المعتزلة الذين تعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين فى النار واحتجاجهم بقوله تعالى :

﴿ فَأَتَنَفَعُ مِنْهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝﴾^(٣)

(١) سورة الانبياء آية ٢٨

(٢) سورة طه آية ١٠٩ .

(٣) سورة المدثر آية ٤٨

وبمثل قوله تعالى :

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١)

وهذه الآيات إنما هي في الكفار .

كما انهم تأولوا أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات وهذا باطل ، والأحاديث صريحة في بطلان مذهبهم .

وقد ثبتت شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » (٣) .

(١) سورة غافر آية ١٨
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

الرد على الدعوة بأن التشهد مختلف في صيغته وأنهم يأتون بأية الكرسي

ان التشهد في الصلاة ورد بعدة صيغ ليس بينها اختلاف في المقصود وانما جاء بعدة صيغ ، لأنها وقائع متفرقة وقال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم التشهد في أوقات متفاوتة تلك الالفاظ المتغايرة ليوضح للأمة أن التشهد بأية صيغة من تلك الصيغ جائز ، فابن مسعود رضى الله عنه وهو من السابقين سمع أولا .

وابن عباس وهو من مهاجرة الفتح سمع بعد ذلك وهكذا .
يقول ابن قدامة الحنبلى في كتاب « المغنى » :

« . . وبأى تشهد تشهد مما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه أحمد فقال : تشهد عبد الله أعجب الى وان تشهد بغيره فهو جائز لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة مختلفا دل على جواز الجمع كالقراءات المختلفة التى اشتمل عليها المصحف (١) » .

(١) المغنى والشرح الكبير ج ١ ص ٥٧٩ .

واختلف الأئمة في ترجيح بعضها على بعض والجمهور ومنهم
الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية
بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر .

وقال الترمذى : حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو
أصح حديث في التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة
ومن بعدهم . وسئل الشافعى عن اختياره تشهد ابن عباس فقال :
لما رأيته واسعا وسمعته عن ابن عباس صحيحا كان عندي أجمع
وأكثر لفظا من غيره وأخذت به غير معنف لمن يأخذه بغيره مما صح .

والخلاف بين الروايات هين ويسير فتشهد ابن مسعود بلفظ
« التحيات لله والصلوات والطيبات » وتشهد ابن عباس بلفظ
« التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وباقية كتشهد ابن
مسعود ، وتشهد عمر بلفظ « التحيات لله الزاكيات لله الصلوات
لله الطيبات لله » وبقية الصيغ لا تخرج عن ذلك .

وبعض روايات التشهد قد تجيء بزيادة كلمة من صدر التشهد
أو نقصان كلمة أو ذكر كلمة « لله » « عقب كل منها أو في أولها
أو آخرها وكل هذا جائز شرعا ولفظ ولا شيء . . فعلام رد التشهد
والايتين بآية الكرسي ولا يوجد أى دليل من قول أو فعل يقول
باستبدال التشهد أو بالقول بقراءة آية الكرسي ، فكيف يعدل
صاحب هذه الشبهة عن الأحاديث الصحيحة الصريحة التى تنص
على التشهد ، انه لا يبتغى من وراء هذه الضجة المفتعلة الا أن
يشوش على المسنة ويثير حولها الشبهات .

الرد على شبهة ان عمر رضى الله عنه منع من كتابة الأحاديث

وأما دعواهم: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه منع من كتابة الأحاديث ؟ فليس هذا المنع على إطلاقه ، وليس المراد من المنع عدم كتابة السنة دائما ومطلقا أو لأنه لا يريد الأخذ بها كما زعم أصحاب هذه الدعاوى والشبهات زورا وبهتانا .

وانما كان الفاروق عمر رضى الله عنه قد هم بكتابة الأحاديث وتقبيدها بالفعل ، واستشار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فأشاروا عليه بكتابتها ، وطفق يستخير الله في ذلك مدة ولكن الله لم يرد له ، روى البيهقى فى المدخل ، عن عروة بن الزبير أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن ، فاستشار فى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشاروا عليه ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح وقد عزم الله له فقال : انى كنت أردت أن أكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبنا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا .

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۖ أَفَتُمْنُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى ۝
 وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝
 عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝
 مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۖ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ
 الْكُبْرَى ۝ (١)

وقد اختلف السلف والخلف في رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء والمعراج .

١ — فأنكرته عائشة رضي الله عنها وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين .

٢ — وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ، وروى مثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه .

٣ — ووقف البعض في هذا الموضوع وقال : ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة ، وسؤال موسى إياها دليل على جوازها ، إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه .

(١) سورة النجم (١ — ١٨) .

وأما المراد بقوله تعالى : « **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** » فمن العلماء من يرى أن هذا الدنو والتدلى منقسم ما بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما . وذكر ابن عباس والحسن ومحمد ابن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى ، أو من الله تعالى ، وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا ليس على وجهه بل لا حد له ومن الأدلة على رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه سبحانه وتعالى : حديث ابن عباس رضي الله عنهما « **أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخَلَّةُ لَأِبْرَاهِيمَ وَالْكَلامِ لِمُوسَى وَالرُّؤْيَا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** » ، وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه .

وأما حديث عائشة الذي يفيد عدم الرؤية ، فان عائشة رضي الله عنها لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لم أر ربي ، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ

حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ۝ (١)

ولقوله تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۝ (٢)

(١) سورة الشورى آية ٥١

(٢) سورة الانعام آية ١٠٣

والصحابى اذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة،
واذا صحت الروايات عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير
الى اثباتها .

ثم ان ابن عباس اثبت شيئاً نفاه الغير ، والمثبت مقدم على
النافى . والراجع عند أكثر العلماء أن الرسول صلى الله عليه
وسلم رأى ربه ليلة الانشاء والمعراج ، لما روى عن ابن عباس
وغيره وهم لا يأخذون الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأما قول السيدة عائشة رضى الله عنها فانها لم تنف الرؤية
بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان معها حديث
لذكرته ، وانما اعتمدت الاستنباط من الآيات . فالمعراج ثابت ،
ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه سبحانه وتعالى ثابتة .
وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه (١) » .

وعن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخمس كلمات فقال : « ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له
أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار
وعمل النهار قبل عمل الليل حجاب النور ، وفي رواية أبى بكر النار
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه (٢) » .
وأما رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى في الآخرة :

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم . وسبحات وجه الله تعالى : هى أنواره .

١ - فان مذهب اهل السنة جميعا انها ممكنة في الآخرة ومجمعون على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة ، دون الكافرين .

٢ - وزعمت طائفة من اهل البدع من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه .
والادلة من القرآن والسنة واجماع الصحابة على رؤية الله في الآخرة للمؤمنين كثيرة : قال الله تعالى :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

وقال سبحانه :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢﴾ ﴾

وعن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دخل اهل الجنة الجنة) قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل(٣) » .

وعن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا

(١) سورة القيامة آية ٢٣

(٢) سورة يونس آية ٢٦

(٣) رواه مسلم .

يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون
في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل
تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله
قال : فانكم ترونه كذلك (١) » .

وبهذا يتبين أن ما قاله المنكرون للمعراج لا أساس له من
الصحة فان الصحابة الذين رووا حديث الاسراء والمعراج وصلوا
الى خمسة وعشرين صحابيا والروايات فيه متواترة ، وأخرج
حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب
المعتمدة . ورجوع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه لطلب
التخفيف لا يقدح في صحته بل هو لاطهار رحمة الله بالأمة ولاظهار
مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بقبول شفاعته في التخفيف عن
أمته ، وبيان رأفته ، وفي المراجعة تكرير المناجاة بين المحب والمحبوب
وبين العبد والمعبود .



(١) رواه مسلم .

مناقشة منكرى السنة

وجملة القول أن من ينكر السنة النبوية الصحيحة ويرفض الأخذ بها فهو متمرّد على القرآن الكريم نفسه ، ومنكر لأوامره ، التى جاءت تأمر بالأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نسأل أولئك المنكرين .

انى لنا معرفة كيفية الصلاة ، وعدد ركعاتها لولا السنة النبوية المشرحة للقرآن الكريم المفصلة لجمله ، والمقيدة لمطلقه ، والمخصصة لعامه ؟ !

وانى لنا معرفة الحج وأحكامه وأنصبة الزكاة الى غير ذلك من الأحكام ؟ ان القرآن الكريم جاء بالأصول والقواعد العامة الكلية وان الحديث النبوى فصل وفسر وشرح ووضح . والآية القرآنية الكريمة وهى قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١)

(١) سورة الحشر آية ٧

هى الأصل لكل ما جاء به الحديث الصحيح ، والسنة المطهرة مما لم يرد ذكره فى القرآن ، روى عن الامام الشافعى رحمه الله تعالى أنه كان جالسا فى المسجد الحرام يحدث الناس فقال : لا تسألونى عن شيء الا أجبتكم فيه من كتاب الله فقال رجل : ما تقول فى المحرم اذا قتل « الزنبور » ؟ أى « الدبور » وهو ذكر النحل ، فقال : لا شيء عليه ، فقال الرجل : أين هذا من كتاب الله ؟

فقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .
ثم ذكر اسنادا الى (سيدنا) عمر رضى الله عنه ، أنه قال :
« للمحرم قتل الزنبور » .

وهكذا نرى وجوب الأخذ بالسنة النبوية وأن منكرها ومنكر ما جاءت به منكر لأمر معلوم من الدين بالضرورة .

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا اننى أوتيت الكتاب ومثله معه ، الا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، الا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد ، الا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فعليه أن يعقبهم (١) بمثل قراه (٢)) .

(١) أى أن يأخذ منهم بقدر قراه من أموالهم .
(٢) رواه أبو داود .

يقول الامام الخطابي : قوله (أوتيت الكتاب ومثله معه)
يحتمل وجهين :

احدهما : أن معناه أنه أوتى من الوحي الباطن غير المتلو مثل
ما أعطى من الظاهر المتلو .

الثانى : أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى ، وأوتى من البيان مثله،
أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح
ما فى الكتاب فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو
من القرآن . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث :
« يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته » أنه رجل من المترفين
أهل الترف والدعة الذين لزموا بيوتهم ولم يرحلوا فى طلب العلم ،
ولم يطلبوه من أهله ولا من مظانه .

وهذا الحديث يعتبر معجزة من معجزات رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد حدث ما تنبأ به ، وأخبر عنه وظهرت منهم
غئة قديما ، وظهرت أخرى حديثا تدعو بهذه الدعوة الظالمة
مغادية بالاعتصار على القرآن الكريم وترك الحديث النبوى وهم
بهذه الدعوة يحاولون ضرب الاسلام والاتيان عليه من القواعد ،
فاذا تركت السنة النبوية استعجم القرآن ولم يعد مشروحا
مفصلا .

ولذا يؤكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الحرص على
حديثه وسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده فيقول صلوات الله

وسلامه عليه : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من
بعدي عضوا عليها بالنواجذ(١) » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
خطب في حجة الوداع فقال : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد
بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم
فاحذروا ، انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب
الله وسنة نبيه(٢) » .

وأما الحديث الذى حاول بعض القائلين بالاكْتفاء بالقرآن أن
يستدلوا به والذى يعتبر مستند القائلين بعدم استقلال السنة
التبوية بالتشريع فهو :

« اذا جاعكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق
فخذوه وما خالف فاتركوه » .

وقد وضع أئمة الحديث أنه موضوع مختلف لم يقله الرسول
صلى الله عليه وسلم .

وقد وضعته الزنادقة ليصلوا الى ما يريدون من اهمال
الأحاديث ، وعارض هذا الخبر بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .
(٢) رواه الحاكم وروى مثله مالك فى الموطأ .

الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفا له ، لانا وجدنا
في كتاب الله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رُسُلًا

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴿٧﴾ (١)

ووجدنا فيه :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢)

ووجدنا فيه :

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣)



-
- (١) سورة الحشر آية ٧
(٢) سورة آل عمران آية ٣١
(٣) سورة النساء آية ٨٠

دفاع عن الإسلام والسنة ورد على بعض الكُتاب المحدثين

نشر أحد الكتاب في مجلة « المصور » عدة مقالات ، تناول فيها الحديث والشريعة الإسلامية والسنة النبوية من منظور عقلى بحث وكان بعيدا عن التحقيق العلمى ، وبعيدا عن الصواب . . بل وأحيانا بعيدا عن العقل السليم . .

فمما تناوله في صدد الحديث عن الشريعة الإسلامية في مقاله يوم ٢٠/١/١٩٨٤م قوله : « انه نجم عن احكام الفقهاء عن تطوير الشريعة وفق ظروف العصر الذى يعيشون فيه وملاءمة فقهم لاحتياجاته وتجميدهم للأحكام مع اغلاق باب الاجتهاد أن ساد لدى الجميع الاعتقاد بأن أمر تطبيق الشريعة أمر نظرى بحث يمكن التأليف والحديث فيه وليس بالوسع محاولته » ا هـ .

ثم يقول : « ان أمر تطبيق الشريعة كان أمرا ميسورا وقت ان كان ذلك السلف الصالح على قيد الحياة وهو الآن متعذر لفساد الناس بعدهم وسيظل متعذرا الى ما شاء الله » . .

وهذا الذى قاله عن تطبيق الشريعة وأنه ليس بالوسع محاولة التطبيق انه يناقض الحق ويرد عليه القرآن الذى وضع أن تشريعات

الاسلام ميسرة سهلة التطبيق « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ،
« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، « لا يكلف الله نفسا
الا وسعها » ، وليس صحيحا ما ادعاه هذا الكاتب من أن أمر
تطبيق الشريعة كان ميسورا أيام السلف وهو الآن متعذر ؟ ! ثم
يعلل قائلا : لفساد الناس بعدهم ، وهذا التعليل نفسه هو من
أكبر الدواعي لتطبيق الشريعة ألا ترى أن الناس اذا فسدوا
لا يصلحهم الا شرع الله ؟ ألا ترى أن في الحدود زواجر للمفسدين
تزجرهم وتردعهم عن الفساد . . ان تطبيق الشريعة ليس متعذرا
بل هو سهل ميسور ، وقد طبقت بلاد اسلامية كثيرة فسعدوا وأمنوا
وظللهم الأمن والرخاء ، وشريعة الله صالحة لكل زمان ومكان ،
وهي تصلح لكل زمان ومكان ، والقرآن الكريم تبيان لكل شيء ،
ويهدى الى أقوم السبل « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تركت فيكم ما ان
تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » .

ومن الخلط الذي لا دليل عليه أنه في مقال يوم ١٠/٢/١٩٨٤
حين سئل ؟ « أهنالك ما هو أفضل من أداء الصلوات في أوقاتها ؟ »
اجاب قائلا : « نعم حب خلق الله واحترام مشاعرهم » وهذا يخالف
الحديث الذي يثبت أن أفضل الأعمال الصلاة على وقتها ، وأداء
الصلاة على وقتها لا يتنافى أبدا مع حب خلق الله ومراعاة مشاعرهم
وحتى لو كان من يجالسهم الانسان غير مسلمين فانه ان قام لعباده
ربه فلا شيء عليه في مراعاة مشاعرهم بل على العكس انه يطيع ربه

وفي طاعة الله لا يؤاخذ الناس بعضهم بعضا في ترك المجلس مثلا أو نحو ذلك ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

● ثم في مقاله في يوم ١٩٨٤/٢/٣ بعنوان رسالة من أمريكا ذكر في هذا المقال كلاما يحمل تجريح الامام البخارى ، والتشكيك في أكبر وأعظم وأصح كتب السنة الشريفة ، وذلك حين يقول « وقد أخطأ البخارى مع ذلك اذ كان الاسناد عنده هو قوام الحديث ان سقط سقط ، وان صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن . وكانت النتيجة أنه أورد في صحيحه بعض الأحاديث متينة الاسناد ظاهرا ، والتي يحوى منها ما يخالف المنطق أو العلم أو التاريخ الثابت ، وأضيف الى هذا أنني لست أول من شك في صحة بعض ما أورده البخارى . . »

كما أنه يكذب حديث : « اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله ثم ايطرحه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء » .

والحق أن أمير المؤمنين فى الحديث أبا عبد الله البخارى ، قدصنف كتابه « صحيح البخارى » من ستمائة ألف حديث ، فى ست عشرة سنة وقال جعلته حجة فيما بينى وبين الله . وقال : صنف كتابى الجامع فى المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته .

ولقد دفعه الى تصنيف كتابه هذا ما رآه من انتشار الأحاديث الضعيفة عن طريق أصحاب الأهواء ، وبعض المنتسبين الى أهل الراى جهيث أوغلوا فى مخالفتهم للسنن . فاضطلع بدور هام ،

واخذ على عاتقه أن يخص الأحاديث الصحيحة بالجمع ، وأن يرتبها ترتيبا فقهيا وقوى عزمه ما سمعه من أستاذه الامام اسحاق ابن راهويه حين قال : « لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟ قال البخارى : فوقع ذلك فى قلبى ، فأخذت فى جمع الجامع الصحيح ، كما شرح صدره لذلك رؤيا منامية رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبخارى واقف بين يديه وبيده مروحة يذب بها عنه ، فسأل بعض المعبرين عن ذلك فقال أنت تذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بهذا أحببت أن أوضح للكاتب ولكل من على شاكلته قيمة صحيح البخارى وهمة مصنفه ، وأن قوله : « لست أول من شك فى صحة بعض أحاديث البخارى » انما هو كلام من لم يدرس « صحيح البخارى » ولم يتعرف على منهجه ولا مناهج المحدثين .

وليس صحيحا ما ادعاه من أن البخارى يعول على الاسناد فقط ، بل ان البخارى عنى بالاسناد والمتن معا ، وليس أدل على ذلك من أن البخارى وغيره من المحدثين عنوا بالمتن لدرجة أنهم وضعوا علامات تبين الوضع فى المتن مثل : مخالفة العقل السليم أو المشاهدة والحس مع عدم امكان تأويله تأويلا محتملا . كما ردوا من الأحاديث ما يخالف القرآن أو السنة الصحيحة أو التاريخ مع تعذر التوفيق وهكذا مما هو مبسوط فى كتب أصول الحديث .

هذا بالاضافة الى أن البخارى اشترط أن يخرج الحديث المجمع على صحة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف

بين الثقات الاتبات ، يكون اسناده متصلا غير مقطوع ، وأن يكون
راويه ثقة صادقا غير مدلس ولا مختلط ، متصفا بالعدالة والضبط
متحريرا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد .

فناشترط فى الاسناد الاتصال بنقل العدول الضابطين كما
اشترط فى المتن أن يكون خاليا من الشذوذ والعلة ، واشترط فى
(المعنعن) وهو الحديث الذى يأتى بصيغة : (عن فلان عن فلان .)
اللقاء مع المعاصرة أى أن يكون الراوى قد عاصر من روى عنه
وثبت لقاؤه به ، كما اشترط الثقة وعدم التدليس .

فهل بعد هذا كله يدعى الكاتب أن الاسناد عند البخارى هو
قوام الحديث ان سقط سقط ، وان صح السند وجب قبول الحديث
مهما كان مضمون المتن ؟!

ثم أين تلك الأحاديث التى يدعى أنها تجافى المنطق أو العقل
أو التاريخ ؟!

انه ليس فى صحيح البخارى من ذلك شئ ، اللهم الا اذا
كانت — فقط — تجافى منطق الجاهلين بالسنة وبمعانيها .

وقد حاول الكاتب أن يؤكد التشكيك فى صحيح البخارى حين
يقول « لست أول من شك فى صحة بعض ما أورده البخارى » !!

واحب أن أوضح له ولأمثاله أن نقاد الحديث وجهابذته قد
تدارسوا كتاب صحيح البخارى ، حديثا حديثا ، فشهدوا له

بالصحة . يقول أبو جعفر العقيلي : لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة الا أربعة أحاديث ، قال العقيلي : والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة لهذا كله أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول ، واتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى الصحيحان للامامين الجليلين البخارى ومسلم .

وجميع ما فى صحيح البخارى صحيح ليس فيه ضعف ، وانما كان نقد البعض فيما سبق موجه الى بعض أحاديث لم تصل فى صحتها الدرجة القصوى التى التزمها الامام البخارى ، وهى فى حقيقة الأمر صحيحة ، ولكنه كان يلتزم فى كتابه بشروط فى غاية الدقة والحيلة .

وأما الحديث الذى تكلم عنه حسين أمين وكذبه وهو حديث « اذا وقع الذباب .. » فقد رواه البخارى ، وابن ماجه ، وأبو داود ، والنسائى ، ولم يطعن أحد من علماء الحديث فى سنده بل هو فى درجة عالية من الصحة .

وقد وضع علماء الحديث أنه لا مانع عقلا أن يجمع الله الداء والدواء فى شئ واحد ، بل ان هذا موجود ومحسوس الا ترى النحلة تلقى السم من أسفلها وتخرج عسلا فيه شفاء للناس من فيها ؟ .

وشاء الله تعالى أن يكتشف بعض العلماء والأطباء أن في الذباب مادة قاتلة للميكروب وأن الأستاذ الألماني « بريفلد » اكتشف ذلك وليس معنى هذا أن نقهون في أمر الذباب ، فان الاسلام دين النظافة حرص في كل تشريعاته على وقاية الصحة ، والبعد عن التهلكة ، ولأن الذباب مما يتعذر دفعه أحيانا ، فاذا دعت الضرورة ووقع في الاناء واحتاج الانسان اليه ولم تعفه نفسه فان الحديث يكشف عن شيء كان غامضا على الناس وهو ما يحتوى عليه الذباب من مادة مضادة للميكروب ، فان نحن غمنا الذبابة وخرج السائل قتلت المسادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية .

وهكذا يكشف لنا الحديث عن دلالة من دلائل القدرة الالهية بين الداء والدواء في أبسط المخلوقات . . كما يتبين لنا ان هذا الحديث الذى طعن فيه الطاعنون يعتبر من المعجزات الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

والحق أن مثل هذه الأمور التى أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتى صدقها العلم الحديث باكتشافاته فانها لا يضبطها حدس ولا تخمين ولا يحصرها قياس ولا اكتشاف ، وهى وان أعطينا ما نظمئن الى صحته فليست وحدها الدليل على صحة الحديث ، لأن الذى جاء به البشر خاضع للخطأ والصواب خاضع لاختلاف الآراء ، أما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فوق ذلك كله ، لأن المخبر به معصوم من الخطأ .

(١) ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٤) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٥) ﴾

وقد أمر الله تعالى بأخذ ما جاءت به السنة النبوية ، وترك ما نهت عنه :

ج (٢) ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

ولقد اتبع هذا الكاتب ما قاله المستشرقون وأعداء السنة من أن البخارى وغيره من المحدثين لم يهتموا بمتن الحديث .
والحقيقة أن مثل هؤلاء الكتاب لو اهتموا النظر لوجدوا كيف كان حكم المحدثين والأئمة على الأحاديث — صحة وضعفا — ولوجدوا عناية المحدثين بالمتن كثيرا كالسند بل في كثير من الأحيان يكون النقد للسند أو الرواة مرجعه فيما نقله أو رواه من مناكير أو موضوعات ، فيقول أئمة الحديث مثلا : « حديث منكر أو باطل » ويقولون في الراوى « يحدث بالمناكير » أو « منكر الحديث ومعظم ذلك راجع الى جهة المعنى .

ومما سبق يتضح لنا ما وضعه علماء الحديث من القواعد الهامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع ، ووجهوا جهودهم الى نقد السند والمتن على السواء ، وبجهودهم الموفقة صان الله

(١) سورة النجم آية ٤ — ٥

(٢) سورة الحشر آية ٧

السنة النبوية المشرفة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وكما تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم وحفظه فعلا .

(١) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٨﴾

حفظ السنة الصحيحة المبينة للقرآن :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

ولقد طالعنا صحيفة الأهرام القاهرية يومى ٢/١٣ ، ٢٠/٢/١٩٨٥م بمقالين للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، شن فيهما هجوما ظالما ، وقذفا صريحا على وعلى أخى الدكتور عبد الصبور شاهين .. كان هذا عقب اذاعة « ندوة للرأى » المسجلة فى كفر الشيخ .

وكنيت أود منه أن يناقش أو يبدى فى المسائل العلمية التى قلناها ولو رأيا واحدا .. ولكنه للأسف ترك الناحية العلمية المتعلقة بعدالة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى موضوع الاجابة فى الندوة ، وراح يسبنا ويقذفنا مختلقا من التهم ، وملقيا بالتجريح والقذف ما لا يليق أن يصدر من انسان لانسان .. ان تجريحنا نحن العلماء ، وقذفنا على هذا النحو الذى طالعنا

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة القيامة آية ١٧ — ١٩

به جريمة الأهرام خطيرة ، فإذا ما انضم إليها ما نال من قبلنا من علماء الإسلام كالإمام عبد الحليم محمود والشيخ الغزالي وغيرهما .. كان ذلك عدوانا صريحا مخططا له ، فإذا ما انضم إلى هذا وذاك ، من قبل ومن بعد ما نال أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من تجريح كان محاولة للنيل من الإسلام نفسه ، وكان السكوت على هذا ، سكوتا على منكر وحربا لعقيدتنا .

فهل يرضى الكاتب لعقيدة ما أو لدين ما أن يجرح شهوده ونقلته فضلا عن أن يكون هذا الدين هو الإسلام الذي ختم الله به الشرائع وبرسوله جميع الرسل والنبیین لابد — احقاقا للحق — أن أوضح بايجاز شديد ما قلته وما قاله زميلي في هذه الندوة التي أثارت الكاتب ليرى القراء هل يحجر علينا نحن العلماء أن ندافع عن الإسلام وثهوده من الصحابة ؟ ! هل السكوت على تجريح الصحابة أصبح أمرا سهلا بهذه الصورة ؟ !

لقد وجه السؤال لنا في ندوة الرأي عن الصحابة وحكم عدالتهم وحكم من يجرحهم فأجبنا اجابة علمية ، وقد أثبت عدالة الصحابة التي جاءت في القرآن في قوله تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١)

(١) سورة التوبة آية ١٠٠

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تسبوا أصحابي فوالذى
نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم
ولا نصيفه) وبينت أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين عدول
حتى من لابس الفتن منهم ، وهم حملة الاسلام ونقله الكتاب
والسنة فتجريحهم تجريح للاسلام وكان كلام الامام أبى زرعة
المحدث واضحاً حين يقول فيمن ينال من الصحابة : (اذا رايت
الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعلم بأنه زنديق وذلك لأن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق
وانما أدى ذلك كله الينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهؤلاء يريد أبو زرعة بذلك الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا
ليبتلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى) أى بهؤلاء الزنادقة ،
ثم وضحت مكانتهم ودورهم فى الاسلام ثم قلت : « ان نقد الصحابة
وتجريحهم هو نفسه الباب الذى ولج فيه المستشرقون وأعداء
الاسلام ، وحاولوا أن يطعنوا هذا الدين فى شخص هؤلاء الصحابة
الذين حاول البعض تنقيصهم اننا حين نأخذ مثل هذه الكتب أو حين
يقع فى يد احد منا كتاب من هذه الكتب أو مقالة من هذه المقالات
ويرى تجريحا للصحابة أو نقدا لهم فهو ان لم يملك شيئاً فليمزق
هذا النقد وليضرب عليه دون أن يضع له مكاناً فى ذهنه ولا فى قلبه » .

فهل الدفاع عن الصحابة وعدالتهم التى قررها القرآن والسنة
وأئمة الاسلام يستحق هذه الاتهامات وذلك القذف الظالم ؟ !

أما ما قاله الزميل الفاضل د. عبد الصبور شاهين فهو :
« وموقفنا أننا نحترم الكل ونحب الكل دون تفرقة ودون تمييز ،

أما ما يتعلق بمواقف الصحابة واختلافاتهم فيما بينهم ، فإذا كانت هذه الاختلافات واقعا تاريخيا فهو يعنى الصحابة وقد مرت بعد وقوعه قرون زادت على اثنى عشر أو ثلاثة عشر قرنا فما بالناس نبعث هذه الاختلافات من الأجداث والقبور كأنما نحن مغرمون بالانتكاس نعيش دائما آلام السابقين » . . ثم قال « ولقد بدأت تنبعث في العالم الاسلامى فكرة التفرقة بين السنة والشيعة وهى فتنة ينبغى أن تخمد لأن العصر قد تجاوز هذه الدعاوى تماما ولم يعد يعيش عليها الا المتعنفون فكريا أولئك الذين يشيرون شقاقا بين جناحي الأمة فالاسلام واحد والرب واحد والدين واحد :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ۖ ﴾ (١)

هل فى هذا الكلام الذى قلته وقاله زميلى دفاعا عن الاسلام وشهوده من الصحابة رضى الله عنهم ما يستحق هذه الحروف الحانقة التى سطرها الكاتب أسأل الله تعالى أن يحمى عقيدتنا وتراثنا من تحريف الغالين وانتحال المبطلين .



(١) سورة الانعام آية ١٥٩

التصدى لهذه الحملات

يتلخص منهج التصدى لهذه الحملات بدراسة الدوافع التي دفعت بأصحابها خاصة اذا كانوا ممن ينتمون الى الاسلام ، ولم تقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم الرد عليهم . . ثم قيام علماء الحديث في الجامعات الاسلامية ، والدوائر العلمية المختلفة بانجاز موسوعة عالمية للسنة النبوية تجمع كل ما يمكن جمعه من صحيح الأحاديث النبوية والقدسية الموجودة في الكتب المطبوعة والمخطوطة .

وتكون هذه الموسوعة عالمية يشارك فيها كل من كان معروفا بالاهتمام بالسنة والاشتغال بالحديث النبوى بحيث تخرج في أدق صورة ، وفي أحسن منهج ، وأن تكون مضبوطة بالشكل ، وأن يكتفى فيها بشرح غريب الحديث فقط حتى لا تطول .

ويحرص كل مسلم على أن تكون في بيته بجوار المصحف الشريف . . وأن يكون ما فيها من أحاديث موضع اتفاق على صحته من العلماء .

هل يجوز الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو ولماذا تخرج الأئمة من روايته في الاستشهاد ؟

تخرج أئمة اللغة من رواية الحديث ، خوفا من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أدركهم هذا الخوف كما أدرك الرعيل الأول ، فنرى اماما : كالاصمعي يتجنب رواية الحديث الا قليلا .

واختار العلماء الاتجاه الامثل في الاحتياط والورع ، حفاظا على السنة النبوية .

وكان بعض الأئمة : كشعبة بن الحجاج — وهو من كبار أئمة الحديث — يميل الى رواية الشعر ، وحين يعجب له أهل الحديث ويقولون : يا أبا بسطام نقطع اليك ظهر الابل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدعنا وتقبل على الأشعار ؟ فيجيبهم قائلا : يا هؤلاء أنا أعلم الأصلح لى ، أنا والذي لا اله الا هو في هذا أسلم منى في ذلك .

وكانوا في رواية الأشعار يتأثرون بطريقة الحديث في التحرى . ومن العجب : أنهم لم يستشهدوا بالحديث مع أن شروط المحدثين كانت أدق وأقوى ، ولعل السبب في ذلك هو انصراف اللغويين

والنحويين الى ما يرويه لهم رواة الأشعار ، وهذا الانصراف
استغرق جهودهم ، كما جاء في « أصول النحو » للأستاذ سعيد
أفغانى حيث قال :

« ولكن ذلك أى : الاحتجاج بالحديث لم يقع كما ينبى ،
لانصراف اللغويين والنحويين الى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار
خاصة ، انصرافا استغرق جهودهم ، فلم يبق فيهم لرواية الحديث
ودرايته بقية ، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلم كلها وارادة
بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر » أه .

وقد تعلل الذين منعوا الاحتجاج بالحديث فى اللغة والنحو :
بأنهم لم تكن لديهم الثقة الكاملة بأن تلك المرويات من لفظ الرسول
صلى الله عليه وسلم . يقول أبو حيان الأندلسى : « انما ترك
العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه
وسلم ، اذ لو وثقوا به لجرى مجرى القرآن فى اثبات القواعد
الكلية » أه .

فقد رأوا أن الرواة قد أجازوا نقل القصة الواحدة بالفاظ
مختلفة ، وأنهم جاعوا بالمرادف ، ولم يأتوا باللفظ النبوى الفصيح ،
كالروايات التى جاءت فى حديث : « زوجتكها بما معك من القرآن »
وفى رواية أخرى « ملكتكها بما معك من القرآن » . وفى أخرى :
« خذها بما معك من القرآن » . وفى رواية رابعة « أنكحناكها بما
معك من القرآن » .

كما كان من أسباب منعهم أيضا من الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو : حدوث بعض اللحن في بعض الروايات ، لأن بعض الرواة كانوا غير عرب ، فوقع اللحن في كلامهم ..

تلك دعوى القائلين بمنع الاحتجاج بالحديث النبوى في اللغة والنحو ، ونرد على هؤلاء فنقول :

ان من المعلوم : أن الحديث تجوز روايته بالمعنى ، وان جواز الرواية بالمعنى محوط بشروط هى غاية في الدقة ، تلك الشروط والقواعد لم تتوافر لأى ثقافة في الدنيا ، ومعلوم أن الصحابة والتابعين وكبار أئمة الفقهاء لو غير أحدهم لفظا بآخر مرادف له لكان على النحاة أن يقدموه على غيره لتمكن صاحبه من العربية الفصحى ، ومعايشته للبيئة العربية الصحيحة ولذا : قال الامام : أحمد بن حنبل في شأن الامام الشافعى « ان كلامه في اللغة حجة » . هذا على القول بالرواية بالمعنى مع أن أهل الصدر الأول كانوا يتشددون في الرواية باللفظ ولا يتساهلون في حرف واحد ، فهاهو الأعمش يقول : « أحب الى أن أخرج من السماء ولا أزيد في الحديث واوا أو ألفا أو دالا » . هذا فضلا عن أن بعض الأئمة تشدد فمنع الرواية بالمعنى في الحديث المرفوع لمكانته في التشريع ، وأجازها في الموقوف والمقطوع ، وما كانت الرواية بالمعنى جائزة الا للعارف بالشرعية ومقاصدها ، العالم بمدلولات الألفاظ ، وبالنحو والصرف ، وبأداء الحديث خاليا من اللحن .

وأغلب الظن : أن عذرهم في ذلك ندرة الرواية ، وقلة التصنيف في الحديث ، يقول الاستاذ سعيد الأفغانى : « وأغلب

الظن أن من لم يستشهد بالحديث عن المتقدمين لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث: من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم ، ولما التفتوا قط إلى الشواهد التي لا تلبث أن يطوقها الشك إذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة » ا هـ .

ولقد أخذ علماء الحديث أنفسهم بمقاييس دقيقة ، وموازين علمية في روايتهم للحديث ، وفي تحملهم وأدائهم له ، بأنهم يعرفون ويقدرّون خطورة اللحن أو الخطأ أو الكذب في الحديث ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

من أجل هذا كله : نرى أن المحدثين أحاطوا روايتهم بشروط اشترطوها في الراوى والمروى ، وبقواعد دقيقة التزموا بها ، حفاظا على اللفظ الفصيح . يقول الدكتور صبحى الصالح فى كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) : وان هذه المقاييس التى أخذ بها المحدثون أنفسهم لدى رواية المتون — الى جانب ما التزموه من دقة باللغة لدى رواية الأسانيد — لتؤكد تأكيدا قاطعا ان مانعى الاحتجاج بالحديث من اللغويين والنحويين المتقدمين ارتكبوا خطأ جسيما ، حين تعللوا بأن مرويات الحديث لا تؤنس الثقة بأنها من لفظ النبى العربى الكريم ، فان هؤلاء المانعين أنفسهم عرفوا — كما عرف المجيزون — « أن ما فى روايات الحديث من ضبط ودقة وتحر لا يتحلى ببعضه كل ما يحتج به النحاة واللغويون من كلام العرب » .

دعوى ان العلماء لم يعنوا بالحديث والرد على ذلك

معد أن رأينا جهود علماء السنة في حفظها ونشرها ونقلها
وروايتها ، وضبطهم ودقتهم ، بعد هذا كله : يظهر من يقول :
ان العلماء لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية والدرس !!

فها هو ذا « أبو رية » يقول في كتابه « أضواء على
السنة المحمدية » :

« وعلى أنه — والضمير يعود على الحديث — بهذه المكانة
الجليلة ، فان العلماء والادباء لم يولوه ما يستحق من العناية
والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمعون رجال الحديث يتداولونه
فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم ، وطريقة هذه الفئة التي
اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل ،
فترى المتقدمين منهم — وهم الذين وضعوا هذه القواعد — قد
حصرُوا عنايتهم في معرفة رواية الحديث ، والبحث على قدر الوسع
في تاريخهم ، ولا عليهم ، ان كان ما يصدر من هؤلاء صحيحا في
نفسه ، أو غير صحيح ، معقولا أو غير معقول .

ثم جاء المتأخرون منهم فقعدوا وراء الحدود التي أقامها من سبقهم ؛ ووقف هؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت اليه الرواية .. من غير بحث ولا تمحيص لها « الخ ما كتب .

الرد على هذه الشبهة

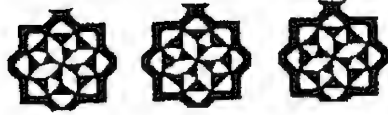
واضح من هذا الكلام تأثر صاحبه بالمستشرقين والمبشرين الذين لم يتخلصوا من التبعية العمياء ، والتعصب المقوت ولو نظر الى جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث ما سوغ لنفسه أن يقول ما قال . فقد بذل علماء الاسلام : من محدثين وفقهاء ، وغيرهم من علماء البلاغة والأدب والأخلاق ، وغير ذلك ، أقصى ما في الوسع الانساني : شرحا وتحقيقا ، واستنباطا للأحكام الفقهية من الاحاديث النبوية بالنسبة للفقهاء ، واستخلاصا للمواعظ والعبر ، وللفضائل الأخلاقية . ونهض علماء الأخلاق فأفادوا كثيرا من الكتابة في هذا الجانب ، كما كتب علماء البلاغة والأدب ما يتصل بثقافتهم ، فكشفوا ما تحتوى عليه السنة النبوية من جمال فني وادبي كما في كتاب : « البلاغة النبوية » للأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى .

وكم حاول الكاتب أن ينقص من قيمة المحدثين ، وأن يرميهم بالجمود ، ولكن غمزه لهم لن ينقص من قيمتهم ، وأن ما صنعه

المحدثون من قواعد النقد فيما يتصل بالراوى والمروى لهى أدق
ما وصل اليه النقد قديما وحديثا .

ويقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة :

« والمتأخرون لم يأتوا فى ذلك بأمر جديد ذى خطر ، اللهم
الا فى الاستفادة بما جد من المعارف النفسية ، والتوسع فى التطبيق،
ولو أنصف المؤلف لعقد مقارنة بين قواعد المحدثين وقواعد غيرهم
ممن يرتضيهم . ثم خلص من ذلك الى نتيجة صادقة » ا هـ .



خاتمة

وهكذا : نرى كيف تعرضت السنة النبوية — قديما وحديثا —
لسهام أعداء الاسلام ، الذين عجزوا عن التعرض لكتاب الله
تعالى ، لأن الله سبحانه قد تكفل بحفظه ، قال جل شأنه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)

ولكن رب العزة سبحانه الذى تكفل بحفظ كتابه ، قد قيض
لحفظ السنة الشريفة رجالا أمناء ضابطين ، صانوها من تحريف
الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

فالسنة : هى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن
الكريم ، وهى المفسرة والمفصلة له ، فلم يكن بدعا أن يصونها
الله كما صان كتابه ، لأنها التى يعرف بها أحكام الدين وتفسر بها
قواعده .

(١) سورة الحجر آية ٩

وقد أمر الله تعالى عباده ، أن يلتزموا بما جاءت به السنة
من أوامر ونواه .

حيث قال سبحانه وتعالى .

﴿ وَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ فَعُذُّوهُ وَمَنِ اهْتَكَمَ عَنْهُ فَأْتَهُوا ۚ ﴾ (١)

ومن العجب ، ومجانة الحق والصواب ، أن تطفو على
صفحات الحياة بعد هذه الجهود والدلائل ، دعوات خبيثة تدعو
الى الاختصار على القرآن الكريم ، وترك السنة النبوية .

وواضح أن في ترك السنة استعجاما للقرآن ، وعدم معرفة
لمعناه ولا لأحكام الدين .

وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم ، والرجوع اليه عند الاختلاف ، والى سنته بعد وفاته قال
سبحانه :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ (٢)

(١) سورة الحشر آية ٧

(٢) سورة النساء آية ٥٩

ويقول ميمون بن مهران : الرد الى الله هو الرجوع الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرجوع اليه في حياته ، والى سنته بعد وفاته .

ويقول الله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّوْا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

وبالله التوفيق .

وصلى الله على صاحب السنة المطهرة المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين .

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

استغفار ودعاء

● سيد الاستغفار :

قال الامام البخارى رحمه الله تعالى :
حدثنا أبو مَعْمَرٍ حدثنا عبدُ الوَارِثِ حدثنا الحُسَيْنُ حدثنا
عبدُ الله بنُ بُرَيْدَةَ حدثني بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ العَدَوِيُّ قال :
حدثنا شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَبِيِّ ﷺ قال :
« سَيِّدُ الاستِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ : اَللّٰهُمَّ اَنْتَ رَبِّىْ لَا اِلٰهَ
اِلَّا اَنْتَ ، خَلَقْتَنِىْ ، وَاَنَا عَبْدُكَ وَاَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ
مَا اسْتَطَعْتُ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، اَبُوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ
عَلَيَّ ، وَاَبُوْءُ لَكَ بِذَنْبِىْ فَاغْفِرْ لِيْ اِنَّهٗ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ
اِلَّا اَنْتَ . قَالَ : وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ
يَوْمِهِ قَبْلَ اَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ اَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ
اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا ، فَمَاتَ قَبْلَ اَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ اَهْلِ
الْجَنَّةِ » (١)

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الدعوات .

● الدعاء :

قال الإمام البخارى رحمه الله تعالى :
حدثنا محمد بن بشار : حدثنا عبد الملك بن الصباح
حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان
يَدْعُو بهذا الدعاء :

« رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ ،
وَمَا أَنْتَ أَغْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي
وَجَهْلِي وَجَدِّي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ^(١) ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي
مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمَقْدِّمُ
وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ^(٢) .

(١) أى موجود أو ممكن ، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين أو قاله تعليقا لأمنته ، وإلا فهو معصوم .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الدعوات .

أهم المراجع

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — اختلاف الحديث للإمام الشافعى ، طبع بولاق سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٣ — الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٤ — اعلام المحدثين للدكتور محمد أبى شهبه ، دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٩٦٣ م .
- ٥ — الامام البخارى محدثا وفقهها للدكتور الحسينى هاشم .
- ٦ — الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، مطبعة صبيح سنة ١٣٧٠ هـ .
- ٧ — تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، مطبعة كردستان بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٨ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ هـ .

- ٩ - تاريخ فنون الحديث للأستاذ محمد عبد العزيز الخولى ،
مطبعة المنار بمصر ١٩٣٩ .
- ١٠ - تدريب الراوى للسيوطى تحقيق وتعليق الدكتور
أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربى - بيروت (١٤٠٥ هـ -
١٩٨٥ م) .
- ١١ - تذكرة الحفاظ للذهبى ، طبع الهند عام ١٣٣٣ هـ .
- ١٢ - تقريب التهذيب تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف ،
طبع دار الكتب .
- ١٣ - تقييد العلم للخطيب البغدادى تحقيق د. يوسف
العش ، طبع فى دمشق سنة ١٩٤٩ هـ .
- ١٤ - تهذيب التهذيب لابن حجر ، طبع الهند سنة ١٣٢٥ هـ .
- ١٥ - توجيه النظر الى اصول الأثر للشيخ طاهر الجزائرى
سنة ١٣٢٨ هـ ط. الخانجى .
- ١٦ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، المطبعة
المتريه
- ١٧ - جامع الترمذى ، طبع بولاق سنة ١٢٩٢ هـ .
- ١٨ - الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبى زهو ، مطبعة
مصر سنة ١٣٧٨ هـ .
- ١٩ - دفاع عن السنة : الدكتور محمد أبو شهبة ، مطبعة
مصر سنة ١٩٦٧ م .
- ٢٠ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين
للشيخ محمد الغزالى ، مطبعة السعادة سنة ١٣٨٣ هـ .
- ٢١ - ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث
للنابلسى ، مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية سنة ١٣٥٢ هـ .

- ٢٢ — الرسالة للامام الثشافعى تحقيق الشيخ احمد شاكر ،
مطبعة الحلبي سنة ١٣٥٨ هـ .
- ٢٣ — الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتانى ، طبع
دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣ هـ .
- ٢٤ — رفع الملام عن الائمة الاعلام لابن تيمية ، طبع
الهند سنة ١٣١١ هـ .
- ٢٥ — سنن أبى داود ، طبع مصر سنة ١٣٦٩ هـ .
- ٢٦ — سنن النسائى ، المطبعة الميمنية سنة ١٣١٢ هـ .
- ٢٧ — سنن ابن ماجه بحاسية السندى ، المطبعة العلمية
سنة ١٣١٣ هـ .
- ٢٨ — سنن الدارمى ، شركة الطباعة الفنية المتحدة
سنة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٩ — السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ، د. مصطفى
السباعى ، طبع دار العروبة بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ .
- ٣٠ — السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب ، مطبعة
مخير سنة ١٣٨٣ هـ .
- ٣١ — شرف اصحاب الحديث للخطيب البغدادى ، مخطوط
بدار الكتب المصرية .
- ٣٢ — صحيح البخارى بحاشية السندى ، طبع دار احياء
الكتب العربية بالقاهرة .
- ٣٣ — صحيح مسلم بشرح النووى المطبعة المصرية بالقاهرة
سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٣٤ — الطبقات الكبرى لابن سعد ، طبع دار بيروت
للطباعة والنشر .

- ٣٥ — طبقات الشافعية لابن السبكي ، مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ .
- ٣٦ — العقيدة والشريعة في الاسلام ، لجلولد تسيهر ، ترجمة : الدكتور محمد يوسف موسى وزملائه ، طبع دار الكتاب العربي سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٣٧ — علوم الحديث لابن الصلاح ، مطبعة الاستقامة سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٣٨ — علوم الحديث ومصطلحه د. صبحي الصالحى ، الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٨ هـ .
- ٣٩ — عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، طبع المطبعة المنيرية .
- ٤٠ — فتح البارى لابن حجر ، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٩ هـ .
- ٤١ — قواعد التحديث للقاسمى ، طبع عيسى الحلبي سنة ١٣٨٠ هـ .
- ٤٢ — القرآن والنبي ، د. عبد الحليم محمود ، طبع دار النصر .
- ٤٣ — في رحاب السنة للدكتور محمد أبو شهبة ، طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٤٤ — الكامل في التاريخ لابن الأثير ، مطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٤٥ — الكفاية للخطيب البغدادي ، تحقيق د. أحمد عمر هاشم ، طبع دار الكتاب العربي ببيروت .

- ٤٦ — اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي،
طبع المطبعة الأدبية سنة ١٣١٧ هـ .
- ٤٧ — المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام
للدكتور محمد البهي ، مطبعة الأزهر .
- ٤٨ — المسند للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد
شاكر والدكتور أحمد عمر هاشم .
- ٤٩ — مسند اسحاق بن راهويه ، مخطوط بدار الكتب
المصرية .
- ٥٠ — المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود
قاسم ، مطبعة مخيمر .
- ٥١ — المنهج الحديث في علوم الحديث للدكتور محمد محمد
السماحي ، طبع دار الأنوار سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٥٢ — الموطأ للإمام مالك ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد
عبد الباقي ، طبع الحلبي سنة ١٣٧٠ هـ .
- ٥٣ — ميزان الاعتدال للذهبي ، طبع مطبعة السعادة
سنة ١٣٢٥ هـ .
- ٥٤ — السنة النبوية وعلومها للدكتور أحمد عمر هاشم ،
طبع مكتبة غريب (١٩٨٩م — ١٤٠٩ هـ) .
- ٥٥ — مناهج المحدثين للدكتور أحمد عمر هاشم ، طبع
مطبعة السعادة .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
المقدمة	١١
فصول الكتاب	١٧

الفصل الأول

جهود العلماء في حفظ السنة « العناية بحفظ السنة ونشرها »	١٩
جهود العلماء في حفظ السنة	٢١

الفصل الثاني

السنة في مواجهة المستشرقين	٣٩
ظاهرة التشريق	٤٤
الرد على فرية بعض المستشرقين	٤٦
فرية أخرى ! !	٤٨

الصفحة

الموضوع

٤٨	الرد على هذه الفرية
٥٠	افتراء آخر : ان الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلي !! . .
٥٠	الرد على هذا الافتراء
٥٢	دعوى : أن السنة منقولة عن الأمم الأخرى . . .
٥٢	الرد على هذا الافتراء
٥٤	اعتراف بعض المستشرقين بصحة السنة
٥٧	ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعنوا بالنقد الداخلي .
٥٧	الرد على هذا الافتراء
٦١	السنة الشريفة ، وافتراءات المبشرين والمستشرقين . .
٦٢	الدفاع والرد
٧٠	عدوان على السنة الصحيحة والرد عليه

الفصل الثالث

٧٩	دفاع عن حجية السنة ، ورد ما أثير حول حجيتها . .
٨٢	رد بعض الشبه والطعون
٨٥	الرد على من ينكر الاحتجاج بخبر الواحد
٨٨	رد بعض الاعتراضات
٩٢	دفاع عن السنة مع مسند الإمام أحمد بن حنبل . .
٩٧	خطة أعداء الحديث

الموضوع	الصفحة
أثر رواية الحديث في رواية العلوم الأخرى	٩٩
مقارنة بين المنهج الأوربي التاريخي الحديث ومناهج المحدثين	١٠٢

الفصل الرابع

الوضع في السنة ومقاومة العلماء له	١٠٩
الوضع في الحديث ومقاومته	١١١
أسباب الوضع في الحديث	١١٣
التعصب السياسي	١١٣
التعصب العنصري	١١٦
الزندقة	١١٦
القصاصون	١١٧
الخلافات الفقهية والكلامية	١١٨
الجهل بالدين مع الرغبة في الخير	١١٩
مقاومة الوضع	١٢٠
التزام اسناد الحديث	١٢١
التثبت من الأحاديث	١٢٢
نقد الرواة ودراسة حياتهم وتاريخهم وبيان أحوالهم من صدق أو كذب	١٢٣
وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييز الصحيح من غيره	١٢٦
علامات الوضع في المتن	١٢٨

الفصل الخامس

١٣٥	الرد على المطاعن التي أثرت حديثا
١٤٠	اثبات عدالة الصحابة ورد الشبه والطعون
١٤٠	أدلة عدالة الصحابة في القرآن الكريم
١٤١	أدلة عدالتهم من الحديث
	رأى بعض أئمة الحديث فيمن ينتقص أصحاب الرسول صلى
١٤٢	الله عليه وسلم
١٤٣	طائفة جديدة من طوائف المنكرين
١٤٣	الشبّهات التي أثاروها في بعض الصحف
١٤٤	الرد على مفترياتهم
١٤٨	الرد على شبهة خلود المسلم العاصي في النار
١٤٩	شبهة انكارهم للأحاديث القدسية
١٥٢	شبهة انكار الشفاعة والرد على ذلك
	الرد على الدعوى بأن التشهد مختلف فيه وأنهم يأتون بآية
١٥٥	الكرسى
١٥٧	الرد على شبهة أن عمر رضي الله عنه منع من كتابة الأحاديث
١٥٨	الرد على انكار المعراج
١٦٤	الرد على منكرى السنة ومناقشتهم
١٦٩	دفاع عن السنة والشرعية ورد على بعض الكتاب المحدثين
١٨١	التصدى لهذه الحملات

الموضوع	الصفحة
هل يجوز الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو ؟ . . .	١٨٢
الرد : على الادعاء بأن العلماء لم يعنوا بالحديث . . .	١٨٦
خاتمة	١٨٩
استغفار ودعاء	١٩٣
مسيد الاستغفار	١٩٣
الدعاء	١٩٤
أهم المراجع	١٩٥

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩ / ٧٥٢٨

مركز السيرة والسنة

يضم هذا المركز نخبة ممتازة من المتخصصين في علوم السنة وفي التاريخ الإسلامى ويتكون من لجنتين إحداهما للسيرة النبوية والثانية للحديث النبوى الشريف وقد وضع المركز منهاجا لعمله يوضح أهدافه ومسيرته ويتلخص هذا المنهاج فيما يلى :

أولاً : تقديم مجموعة من الكتب صغيرة الحجم يخصص كل كتاب منها فى جانب من جوانب السيرة أو السنة النبوية ويراعى فيه سهولة الأسلوب ووضوح العبارة وعدم الإغراق فى التفاصيل والآراء المختلفة ، والهدف منها تقديم السيرة والسنة لجمهور القراء بعيدة عن الشبهات نقية من الأوهام والأباطيل .

ثانياً : كتابة موسوعة كبرى ومرجع كامل للباحثين فى سيرة الرسول ﷺ يعالج كل جوانب السيرة ويرد على الشبهات التى دسّت فى كتب السيرة منذ القرون الماضية .

ثالثاً : مراجعة أمهات الكتب فى السيرة والسنة والتعليق عليها وتصحيح ما يحتاج إلى تصحيح مما ورد فيها .

رابعاً : اختيار مجموعات من الأحاديث النبوية التى تتعلق بالمعاملات والآداب الاجتماعية وشرحها بأسلوب واضح وتخريجها تخريجا دقيقا .

خامساً : ترجمة بعض الأعمال التى تصدر عن لجنتى السيرة والسنة إلى اللغات الحية وإلى لغات الدول الإسلامية غير العربية .

سادساً : الاتصال بمراكز السيرة والسنة فى البلاد العربية والإسلامية وتبادل المعلومات والأفكار والمطبوعات .

ومن الله العون وبه التوفيق ..

To: www.al-mostafa.com